

# من هنا وهناك



## محطات وانطلاقات

التفكير بالعودة إلى المصدر والرجوع الفعلي إليه أمران مختلفان. إذ من السهل أن يظن الإنسان أن مجرد التفكير بالشئ يكفي للحصول عليه، ولكن هيهات! فما نيل المطالب بالتمني.. إذ لا بد للراغب في الوصول إلى وجهته المقصودة من النزود بكل ما من شأنه أن يساعده في رحلته الطويلة عبر القفار والبحار والسهول والجبال والمفازات التي لا تخلو من مطبات.

ها نحن – على بركة الله – نتأهب (ونتذهب) للشروع في رحلتنا نحو أفق الوعي، وينبغي لنا التخطيط السليم والحكيم لتلك الرحلة التي لا بد منها للراغبين في تحصيل الكنوز غير المتواجدة إلا في أرض الوعي ذات المناجم الزاخرة بالجواهر والدرر. وبما أن الغنائم بالعزائم فلا بد لنا من شحن الهمم لارتياح تلك القمم التي مجرد بلوغها يفعم النفس بتيارات من الفرح تفوق كثيراً ما أحس به السر آدموند هيلاري ومرافقه تنزغ نورغي عندما تمكنا من الوصول إلى قمة أفرست للمرة الأولى في التاريخ سنة ١٩٥٣. وبما أن وسائل النقل الحديثة لا تجدي نفعاً في هذه الرحلة القانمة أساساً على بذل المجهود الذاتي فلا بد من التخفف من الأعباء التي تسبب الإرهاق والإعياء.

وما عسانا أن نستغني عنه في هذا المشوار؟ هناك أحمال ثقيلة ننتعها أو نعتلها على أكتافنا حيثما سرنا وأينما توجهنا. نعتبرها جزءاً لا يتجزأ من ذاتنا وعنصرأ متمماً لكياننا. لا نستطيع التخلص منها بل ننتسبب بها بكل ما أوتينا من حول وقوة.. إنما لا حول ولا قوة!

نغالي بها وندافع عنها ونضحى في سبيلها بالغالي والنفيس مع أنها لا تستحق كل هذا الإحتفاء كونها في معظم الحالات براءة لكنها ليست من ذهب وهاج، ولاصفة إنما ليست ألب زجاج.

تلك الأحمال الثقيل تتمثل في (الأنا) المزعومة وحاشيتها الموهومة. فهذه الأنا الصغيرة هي الوعي الحسي الذي أزاح الوعي الروحي فنصب ونصب ذاته وصياً على النفس وملكاتنا وإمكاناتها والجسد وطاقتها.

وهذا الوعي الدعي له أقدان وأعوان، صمّ بكمّ عميان. يحركهم كيفما شاء ويطلب منهم ما يريد فيستجيبون له بمثل لمح البصر ولسان حالهم يقول: لبيك يا بيبك غالي والطلب رخيص!

الوعي الحسي يعلم أن مجرد الإعتراف بأحقية الروح في توجيه قوى الإنسان وتصريف طاقتها يززع أسسه ويرخي قبضته. ولذلك فهو على تواصل دائم مع الحاشية التي تفضل النير على النور والعبودية على الحرية.

هذا الوعي.. وعي الأنا هو المسؤول عن غربة النفس عن موطنها الأصلي وعدم معرفتها لجوهرها الأصيل.

فهو حاربها منذ البداية مثلما يحاربها الآن وفي كل لحظة، محاولاً التشبث زوراً وبهتاناً بملكات وممتلكات ليست له بل للنفس التي هي صورة الله ووريثة مجده ونابته في التحكم بعقل الإنسان وجسمه تحكماً سليماً يفضي إلى تحقيق الإرادة الإلهية وإنجاح المسرحية الكونية تماماً مثلما أرادها الله أن تكون.

وكي لا نبتعد كثيراً عن رحلتنا المزمعة نعود لنؤكد إن أثقل الأحمال على النفوس المجنحة هي الذات الصغيرة أو الأنا التي لا ترغب في التوجه نحو ما يضع مسافة بينها وبين خنادقها وأخايدها وكهوفها وجحورها

## الضيقة.

وكون الأنا تكره النور وإله النور فقد جمعت حولها زمرة لا يستهان بها من أشباح مظلمة دائمة التهافت والهتاف في مواكبها الجوفاء. فهي تشد لها وتشهد بعظمتها وتتفانى في خدمتها مؤكدة لها أنها باقية على العهد حتى تزول الأرض وما عليها.

إذاً لا يمكن التقدم خطوة واحدة ومواصلة السير دون التخلص من أثقال الوعي الضاغطة والمتمثلة في حب الذات والكبرياء والعقد النفسية والكرهية والحقد وحب الإنتقام والغرور والسعي المحموم وراء حطام الدنيا وتقديس وتكديس المال والنظرات الفوقية واللامبالاة بالجانب الروحي من الحياة.

فإن نخلصنا من هذه الأثقال أو من بعضها مع الرغبة الصادقة بالتخلص التدريجي من الباقي فقد نتمكن من الشروع بالمسيرة المقدسة والخير (لقدّام) أي في الإنتظار إن شاء الله.

الحياة تعج بضروب المعاناة على اختلافها. والإنسان لا ينفك بأدلاً قصارى جهده للتخلص من كل أصناف المعاناة والألم.

متاعب ومشقات العيش ترهب عقل الإنسان وترهق قلبه فيتجلد ظاهرياً ما استطاع إلى التجلد سبيلاً، إنما في باطنه تنطلق أصوات الاستغاثة الواحد تلو الآخر، وكأن نفسه تتوجه بصورة لا شعورية إلى قوة روحية لها القدرة على تخليصه مما هو فيه.

قد يكابر أحياناً مؤكداً لذاته أنه صخرة صلبة لا تؤثر فيها الأحداث لكن الواقع أقوى من المكابرة وأصلب من العناد. وقد تتواصل المعركة ويختبر عقل الإنسان العركة تلو العركة، فيكر أحياناً ويفر أحياناً أخرى لكنه مع ذلك يبقى تحت رحمة الظروف التي هي أقسى من أن ترحم.

هذا ينطبق على الذين يخوضون معمعان الحياة بمفردهم، غير متكلين على قوة عليا تعضدهم أو وعي أسمى يوجههم. فيحاربون على طريقتهم الخاصة محتسبينها الطريقة الأمثل والأجوع تماماً كما كان ذلك الراجز الضرير يهزج أيام زمان ببلاغته الفطرية التي لا تخفى على اللبيب: (أنا أعمى ما بشوف أنا ضرباب السيوف!)

لكن قوانين الحياة أكثر دقة من هذه العشوائية وأعمق رؤية من نظرات الإنسان القصيرة المحدودة. وفي حين أنها تفسح المجال للإنسان بحسب مبدأ حرية الاختيار كي يزرع ما يحلو له في تربة وعيه، إنما عليه أن يتقبل المحصول كيفما جاء. وما أكثر ما يأتي المحصول بخلاف ما يتوقعه وما يتمناه الزارع.

الإرادة هي من أقدس الهبات التي امتن الله بها على الإنسان. وهو سبحانه يريدنا أن نستخدمها في كل ما نقوم به. ولم يمنحنا الإرادة وحسب، لأنه لو فعل ذلك لجاءت إرادة عمياء لا تحسن التمييز بين الخطأ والصواب. بل رحمة منه أردفها أيضاً بهبة العقل وكذلك بملكة التمييز بين النافع والضار والمعقول واللامعقول.

وإننا نعلم تمام العلم ولا يضيرنا القول أن إرادة الإنسان مهما كانت جبارة لا يمكنها التعامل دوماً وبمفردها بنجاح مع كل مسائل ومشاكل الحياة. وفي ذلك حكمة لأولي الألباب.

وهناك أمثلة كثيرة على الذين اعتبروا إرادتهم ربهم فراحوا يمارسونها على هواهم وكثيراً ما كانت النتائج كارثية على مستوى عالمي.

المهاتما غاندي كان صاحب إرادة جبارة تمكن بفضل توجيهها في المسار الصحيح من تحرير بلاده بالوسائل السلمية من قبضة أعتى قوة استعمارية عرفها التاريخ الحديث. هذا فعله لأنه كان دائماً وأبداً يطلب العون والإرشاد من الإرادة الإلهية. فهو لم يقدم على عمل كبير أو صغير قبل التوجه بكلية إلى ذلك الوعي الأعظم طالباً الهداية والعزيمة الموجهة بالحكمة والسداد. وهكذا كان ناجحاً في حياته مثلما احتل منزلة رفيعة في نفوس محبي العظمة والبطولة واللاعنف وما زال، حتى بعد مضي ستين عاماً على رحيله.

وبما أن إرادة الإنسان غير قادرة على التغلب بمفردها على ما يعترضها من عوائق وتحديات – مهما كابر المكابرون وادعى المدعون بخلاف ذلك – لا بد أن يستعين الإنسان بمصدره ملتصقاً بالعون والإسناد في معركة الحياة. ما عدا ذلك فهو من الخاسرين ولن يتمكن من مقارعة الأحداث بمفرده. بل وقد تأتيه خبطة أو (خبضة) غير متوقعة تجعله يفقد صوابه ويعيد حساباته.

فلا سبيل إذاً للتعامل بمنطق وفعالية مع الحياة ومفاجأتها دون التماس العون بصدق وتواضع من الله الذي يعطي طالبه ويحمي المستجيرين به من مصائب الدنيا ولطمات الزمان.

فإنه هو الذي يمنح للوعي قوة وللإرادة عزيمة وللبصيرة هداية ونوراً.  
ومن يتوجه إليه بكل أمل ورجاء سيحصل على مبتغاه لأنه سبحانه أكرم من أن يحرم سائله أو يخذل المتكلمين  
عليه. وصدق من قال :  
من يسأل الناس يحرموه  
وسائل الله لا يخيب!

وعندما يوفق الإنسان إرادته ويناعمها مع الإرادة الكلية سيحس صفاءً في فكره وفرحاً في قلبه ونقاءً في  
دوافعه وفتحاً في أذهانه وعيه، وليس آخراً سيحس بحضور قوي في كيانه يشجعه، يعضده، يباركه ويأخذ  
بيده من الظلمة إلى النور، من الحزن إلى السرور، ومن الشك والإرتياب إلى اليقين والصواب.

لقد وهبنا الله النفس التي هي أتمن ما في الوجود. وهذه النفس الشريفة تظهر بصورة تيارات حية تشحن خلايا  
الدماغ والجسم بالطاقة الحيوية مما يساعد الإنسان على التفكير والعمل وعلى إبقائه على دراية واعية بذاته  
وبكل ما حوله.

ومع هذه الهبة السماوية فقد حصلنا على كل ما نحتاجه من خالقنا الكريم الذي لم ولن يحرمنا مما هو ضروري  
لوجودنا على هذه الأرض. قد تبدو هذه العبارة أقرب إلى الخيال الشعري من الحقيقة وإلى الافتراض من  
الواقع. لكن أقطاب الروح الذين برهنوا عن معرفتهم الدقيقة ليس للأمور اللامادية وحسب بل للطبيعة  
وقوانينها أيضاً أكدوا لنا أن كل ما يحتاج إليه الإنسان كامنٌ في ذاته وما عليه إلا أن يعرف السبيل إلى التوصل  
إليه والحصول عليه.

وهناك قانون لا يخطئ لا أعتقد أنه أعطي حقه من التمحيص والتجريب. وهو أن من يجد في معرفة الذات  
ويبذل مجهوداً معقولاً للوفاء بالتزاماته الروحية – والمادية أيضاً – يخلق في داخله قوة جذب شبيهة  
بمغناطيس باطني يجذب ويجلب إليه كل ما يحتاجه من الناحيتين المادية والمعنوية.

هذا القانون كان معروفاً منذ القدم، وإلى هذه الحقيقة بالذات أشار السيد المسيح بالقول "اطلبوا أولاً ملكوت  
السماء والباقي يُعطى لكم".

مثلاً كان معروفاً للنبي محمد عليه السلام عندما قال: "فإذا سألتم الله عزَّ وجلَّ فاسألوه وأنتم موقنون  
بالإجابة".

ذات مرة طلب أحد الملوك من زوجاته أن يطلبن ما يرغبن في الحصول عليه منه. فراحت كل واحدة منهن  
تطلب لنفسها ولأولادها هبات ملكية ثمينة. وعندما أتى الدور لآخر زوجاته وكانت أصغرهن سناً وأكثرهن  
حكمة، أمسكت بالتاج ووضعت على رأس الملك. وعندما سألتها الملك عما قصده بتلك الإيماءة قالت:

"إنني لن أطلب شيئاً غير الملك نفسه، لأن من يحصل على الملك يحصل أيضاً على مملكة الملك وممتلكاته"

فأعجب الملك بفطنتها غير العادية وأيضاً بمحبتها له واعتبرها الزوجة الأقرب إلى قلبه من بين كل زوجاته.

أجل، فالذي يطلب الله من قلبه يحصل على سؤل قلبه. ومن يغالي بالله يغالي الله به. ومن يحب الله يحبه الله  
ويعطيه مبتغاه. وفي هذا الصدد يقول المعلم برمهسا يوغانندا: من يختار الله يختاره الله.

ولأن الكرم الإلهي بحر لا ساحل له فإن هبات الله لا تنقطع أبداً عن مستحقيها، لا سيما الأسخياء منهم الذين  
تصل تلك الخيرات إلى أيديهم لتنتقل إلى أيدي غيرهم. فالله كريم ويحب الكرماء. وهذا ما عبّر عنه الشاعر  
بالقول:

يجودُ علينا الخيرون بمالهم  
ونحن بمال الخيرين نجودُ

إنما يهيب الحكماء بالإنسان كي لا يطلب الله طمعاً بمكاسب مادية أو معنوية أو بقوى خارقة أو غيرها من  
الأشياء التي لا دوام لها. ومع ذلك إن هو طلبها فقد يحصل عليها إنما لا تعتبر بالضرورة مكاسب فعلية لأن  
مجرد التماسها توسلاً هو إقرار ضمني بأن المسافة ما زالت بعيدة بين المانح والمتلقي. يقال أن المستعطي  
يحصل فقط على ما يُعطى له مع أن هناك بعض الاستثناءات بحسب ما يوحي به المثل الشعبي (شحاد  
ومشارط!) لكن الأبناء لهم الحق بما لوالديهم وبإمكانهم المطالبة بحقوقهم بدل استجدانها.

وكلما تقدم المرید على الطريق واقترب خطوة أو خطوات من الغاية النهائية يجد أن الطبيعة بأسرها تتعاون

وتعمل بطرق غامضة لرفده بما يحتاج إليه ووضع كل ما يبتغيه بين يديه.

الجادون في مطلبهم الروحي يحسّون بقوة باطنية واعية تشحذ عزائمهم وتمدهم بشحنات من النشاط الحيوي الذكي مما يزيدهم قوة وحماساً ورغبة في مداومة العمل من أجل بلوغ هدفهم السامي.

ولولا تلك الجرعات الحية التي يشعرون بها في أعماقهم لما استطاعوا مواصلة السير بهمة كبيرة وبرغبة صادقة على مدى سنين طويلة. أما الذين يعتبرون هؤلاء المريرين أو الرواد حالمين أو واقعين تحت سطوة الوهم نقول بل هم الواهمون الحاللون والمغردون خارج السرب، ولا بد أنهم سيغيرون الاتجاه عندما يدركون خطر السير في الصحاري ذات الرمال المتحركة أو ركوب البحر بقوارب خشبية متخذة متداعية لا تصمد أمام الأنواء العاتية والعواصف الهوجاء. وإن لم يفعلوا فقد تبتلعهم الرمال أو يطغى عليهم الموج بعد أن تسحبهم التيارات التحتية بقوة فينطبق عليهم القول: ذهب المحيط بحكمة الملاح.

الحياة اليومية العادية بما فيها من عادات متأصلة وليس بالضرورة أصيلة، ومن هموم زويعية ومشاكل والتزامات وضعية تفرض ذاتها فرضاً على الإنسان.. كل هذه وأكثر منها تكبل وعي المرء بجنازير فولاذية تشده إلى محيطه شداً وتبقيه (مطرحك يا واقف) طوال سني حياته. فهو لا يحيا حياته الخاصة بل حياة المجتمع، وبالكاد يجد متسعاً من الوقت للاختلاء بنفسه والتأمل على خالقه الذي لم يبخل عليه بشيء ومع ذلك فما أكثر الذين يعتبرون أنهم عصريون بامتياز ولا ينبغي لهم التفكير بأمور لا تقع تحت حواسهم المرهفة ولا تخضع لأفكارهم الثاقبة!

وهكذا يبقى الوعي البشري أسير الأهواء، هاجعاً خلف قضبان العادات والتقاليد، بعيداً عن إدراك ماهيته ومعرفة إلهيته.

وهيات أن يستمتع الوعي بدفع السلام التألمي والراحة الروحية ما دام خاضعاً لمخلفات كليلة ومؤثرات ثقيلة على النفوس ذات الطموح إلى ما هو أبعد من المعروف والمألوف.. إلى حيث الأفكار المشرقة والإنطباعات المتجددة والتطلعات البعيدة كل البعد عن عوالم الوهم والغرور.

حسناً أن يكون الإنسان قانعاً بما لديه فالتقناعة بالحقيقة كنز. لكن هناك فرقاً بين القناعة وبين عدم امتلاك الحافز الخلاق لاستحداث شيء جديد ومفيد ولو بالفكر.

القناعة بالنسبة للمتيقظين روحياً هي شيء ثمين لأنهم عملوا جاهدين لبلوغ تلك الحالة الرضية. أما بالنسبة للذين لم يتمكنوا بعد من الحصول على ضرورات العيش الأساسية بسبب عدم امتلاكهم روح الطموح فقناعتهم عجز وليس كنزاً لا يفنى.

هناك أناس يطيب لهم التعبد والتهجد في هياكل الرغبات، فيقدسونها ويحرقون لها بخور قواهم وسلامهم الذاتي، ولذلك فهم بحاجة إلى من يذكرهم بأن عبادة الأصنام هي ضرب من الوهم ومخادعة الذات ولا بد من إعادة النظر في كيفية صرف وتصريف القوى والطاقات التي وضعها الله أمانة في عنق الإنسان ويتوقع منه استعمالها بحكمة وتبصر بما ينفعه ويعود بالخير عليه وعلى إخوته البشر.

لا يمكن بلوغ حالات سامية من الوعي دون استبطان الإنسان لذاته والتأمل على طبيعته الروحية التي تكاد تموت سغباً لعدم اهتمام صاحبها بها وتقديم الغذاء اليومي لها. ونتيجة لذلك فقد يتحجر الوعي ويتحول إلى ما يشبه الجميد أو يصبح مخففاً كالمصل أو كالشنيينة المنزوعة الزبدة. ومع ذلك فهناك من يجادل أن الجميد هو الأنسب لصنع الملاحية وأن الشنيينة مشروب صيفي منعش حسبما جاء في مذكرات الجنرال الفرنسي كاريبييه.

هناك أغنية شعبية تقول (طال المطال يا حلوة تعالي). وكان منشدها الأول أحس بوجود عميق لتلك الحلوة التي قد عنت الشيء الكثير بالنسبة له فهم حباؤها وذاب شوقاً إليها فراح يناديها ويناجيها ويبتها أشواق النفس وحنين القلب الملتهب. وعندما يصدق بها (المغروم) تكاد تسمع نبضات قلبه في نغمات صوته وترى طيف حبيبته في هالة وجدته المتعظم. في تلك اللحظات يتحول إلى كتلة من الشوق النابض والناهض لملاقاة المحبوبة. وهذا ما يحس به ويختبره الطامحون إلى بلوغ الوعي الروحي وسماع أنغام الأثير الأثيرة ومعاناة أشعة الروح ذات الشفاء التلقائي والإنعاش الفوري لذرات الجسم وخلايا الدماغ.

من يطمح لبلوغ مشارف الوعي السامي عليه أن يتحلل من صمغ العادات الموهومة وغراء الحقائق المزعومة لأنه إن لم يفعل سيدوق – عاجلاً أم آجلاً – طعم المغرابة!

ولا بد أيضاً من تجاوز – إن لم نقل التخلص – من الكبرياء الذاتي الذي يحول دون تمدد الوعي ومواصلة مسيرته الأمامية. وهذا الكبرياء القتال هو ألد أعداء التفتح الروحي وهو كالشوك الحاد في حدائق النفس الذي يخز ويديم وينافس النبات النافع على عناصر التربة ومقومات البقاء. فإن ترك ذلك الشوك وشأنه ستنتثر

بذوره وتتغلغل جذوره فيستأثر بالحقول ويقضي على المحصول ويا لها من خسارة!

هذا التشبيه المجازي ينطبق على ما في تربة النفس من أشواك حادة و(مزليف) مدببة وقريص قارص وقطرب متربص لا بد من اجتثاثه من الجذور ليتمكن نبت الوعي من النمو والامتداد في ذات الأرض وأرض الذات.

والسلام عليكم.

### هناك في اللانهاية...

عندما وفد أحد المعلمين الشرقيين إلى الغرب في نهاية القرن التاسع عشر طُلب منه أن يلقي محاضرة فاختر الصفر (٠) عنواناً لمحاضرتة لأنه اعتبره رمزاً للانهاية.

لكننا لن نتحدث هنا عن الصفر الذي قد لا يسعفنا في الإقلاع بظانرة الفكر إلى الأجواء القريبة البعيدة.

وبدلاً من أن نبدأ من الصفر ماذا لو حاولنا الإبتداء من دائرة الوعي الكوني التي لا حد لقطرها ولا قياس لمحيطها؟

فنحن ككائنات معنوية انبثقتنا من محور دائرة الوعي الكوني الذي هو وعي الله الأوحد في الخليقة. ولأن هذا الوعي بلا بداية فهو بلا نهاية أيضاً.

وكون النفوس صدرت عنه فخاصياته اللانهاية كامنة بها. أما الغاية فهي التفتح التدريجي والامتداد في اللانهاية إلى أن تترك النفوس من جديد اتساعها الشامل الذي كانت على دراية به عند انطلاقتها الأولى ثم راحت تفقده على مراحل حتى أصبح بالنسبة لها حلماً أقرب إلى الخيال من الواقع بفعل بعدها الموهوم عنه وعدم اختبارها له بوتيرة متكررة.

اللانهاية وحدها تحتوي أشواق النفس وحنينها إلى ذلك الشيء المجهول الذي تفتش عنه وتأمل في العثور عليه كمن يبحث عن وجه صديق عزيز بين آلاف الوجوه الغريبة.

اللانهاية هي الأفق المفقود اللامحدود الذي يحن طائر الفردوس للتطليق فيه دون عائق يعيق في فضائه السحيق. وهي سماء النفس التي تومض فيها نجوم المدركات الروحية الفائقة.

هي مملكة الوعي التي لا وجود بها للمحدوديات والثنائيات ولا توجد فيها للمعاناة والمنغصات. إنها اتساع شمولي وحرية مطلقة من أسر الجسد وقيود الفكر وما أكثرها من قيود!

في تلك الأفاق اللامتناهية تسبح مجرات الأفكار الأولية التي تتألق بشموس الإلهام وأقمار المدركات الجديدة والمتجددة أبداً.

وفيها أيضاً الحضور الرباني الذي يشع بالنور والفرح والسلام والخير والبركة والقوة والمجد.

فلنتوجه الأفكار إلى قلب الدائرة الكبرى لتمتزج بعناصرها اللانهاية وتكتسب خاصياتها وتمتغظ بالاقتراب من مجالها ومجاليتها.

اللانهاية هي الوعي الكوني الذي لا يحتويه فضاء لأن الفضاء وما به من عجائب الكون كائن وكامن في قلب الوعي الكوني حيث مشاعل الإبداع دائمة التألق وشلالات الغبطة لا تكف عن الهدير.

اللانهاية هي الذاكرة الكونية حيث لا تفقد فكرة واحدة ولا تضع ذرة من ذرات الخليقة. فهي مستودع العقل الكلي الذي يحفظ فيه الأفكار السببية ليجسدها صوراً وأشكالاً منظورة وغير منظورة في الطبيعة وفي عقول البشر.

اللانهاية هي مهبط الوحي ومصدر الإلهام. هي الجزئيات والكليات، وهي الجاذبية الكونية التي لا علم لأحد من أين أتت ولا قدرة للعقل البشري على قياس قواها التي لا يعرف مقدارها إلا الذي أطلقها من ذاته الكلية.

من اللانهاية تسطع المواهب الخلاقة وتفويض الإبداعات المتألقة، وفي اللانهاية يتقافز الفكر بوثبات جبارة وتشد النفس الرحال إلى المرامي البعيدة حيث ينصهر الحب البشري في بوتقة الحب الكوني وتتحقق الآمال العذاب.

في اللانهاية تدرك النفس غايتها وتتعرف على ذاتها فتتأمل أطوار مسيرتها الطويلة وتصبح اختباراتها وتجاربها أحلاماً سعيدة بعد يقظتها الأبدية ورويتها لأنوار الحقيقة.

اللانهاية هي فضاء الروح الذي يزخر بالخواطر السامية وسماء النفس التي تتلامح فيها النيرات المشرقة بالبهاء.

اللاهية تجسد رعشات الحنين وتمنح ألفاظاً بليغة للأفكار الصامتة.  
اللاهية هي اليقظة الأبدية من هجعة الدهور، وهي زهور المعرفة المتفتحة في حدائق الأزل.  
هناك في اللاهية.. حيث الأبدية تحتوي في تضاعيفها الزمان والمكان..  
وحيث أفكار الله الزاخرة بالمفاجآت التي ما خطرت على قلب بشر..  
وحيث يلتقي الماضي بالحاضر والمستقبل في وحدة واحدة..  
هناك حيث الله في الانتظار..  
تكون نهاية المطاف ومنتهى المشوار.. في قلب اللاهية.  
والسلام عليكم

### الخيام والرضي.. فيما يتعدى الحرف

الكلمات الأولى التي استهل بها عمر الخيام الرباعية الأولى من رباعياته الخالدة كانت حسبما ترجمها الأستاذ محمد السباعي كما يلي:  
غردَ الطيرُ فنبهَ من نَعَسٍ!  
فما هو ذلك الطير المغرد وكيف نبه النائم النعسان من غفوته؟  
وهل من شبه بينه وبين طائر الشريف الرضي الذي ناجاه بالقول:

يا طائرَ البانِ غريداً على فننِ  
ما هاجَ نوحَكَ لي يا طائرَ البانِ  
هل أنتَ مُبلِّغٌ من هامِ الفؤادِ بهِ  
إن الطليقَ يؤدي حاجةَ العاني!

عمر الخيام كان عبقرياً ليس في علوم الفلك والرياضيات والمنطق وحسب، بل كان أيضاً أحد ألمع النجوم التي سطعت في سماء الوعي الإنساني وما زال نوره متألقاً حتى يوم الناس هذا.

والشريف الرضي أيضاً كان من أبلغ مترجمي مشاعر القلب والوجدان على مر العصور، مثلما كان عقلاً متوقفاً يستبين الجمال من حوله حيثما نظر ويتفاعل مع الوجود بعفوية وطلاقة بفضل أحاسيسه الرقيقة الشفافة النابعة من روحه اليقظانة.

كلاهما – الخيام والرضي – تحدثا عن ذلك الطير الغامض الذي قد لا يكون سوى رمز لطائر باطني دائم الغناء والتغريد في رياض الروح. ولكن ما أقل من يسمعه ويستعذب توقعات شذوه الذي لا نظير له بين أصوات الطيور التي نعرفها في هذا العالم.

ومن هو يا ترى الذي هام فؤاد شاعرنا الرضي به؟

ولماذا أشار إلى نفسه بالعاني أي الأسير؟

ألعله كان يتحدث عن تجربة صوفية لم يشأ الإفصاح عنها إلا تلميحاً وبرموز تقبل أكثر من تأويل، يعتبرها محبو الشعر ذروة البلاغة والإبداع في حين يقرأ رواد الروح ما بين سطورها معاني قد تكون أبلغ وأعمق من المعنى الظاهري الشديد الوضوح!

فإن صدقَ حدسنا وكان ذلك الطير الفريد الغريد إحساساً باطنياً أو صوتاً عميقاً يتغنى بتجربة غنية ذات جذور عميقة وأبعاد مترامية فقد نمسك بالخيط ونتمسك مسارات الوعي الواحد تلو الآخر. ولعلنا بذلك نوفق إلى بلوغ أفق أو آفاق مشتركة ونتمكن من ترجمتها ولو جزئياً بما يكفي لاستنهاض الهمم وحث البداهة للتفتيح والتجريب في هذا المجال الذي لا ينبغي تركه لذوي الخيالات الخصبة كي يحرثوه ويزرعوه ببذور الوهم ويسقوه بمياه الغرور فيقدموا ثمراً هزليلاً مريضاً لإخوتهم وأخواتهم من ذوي النوايا السليمة والقلوب الطيبة. فلنتأمل طيرنا الظريف اللطيف ولنصخ السمع لأنغامه الرخيمة التي تترجم ذاتها إلى عبارات توحى بانبلاج فجر المعرفة وزمن اليقظة من إغفاءة الغفلة التي طال عليها الأمد.

وكان طائرنا هذا يوحى للنفس بقرب إطلالة شمس الحكمة التي ستغمر رياض الروح بأشعتها الدافئة التي ستنفذ إلى التربة الطيبة وتتغلغل في نسغ وخلايا وأنسجة النبات والشجر فتفعمها بقوة الحياة الكفيلة بتفتيح أزهارها الندية وتكوين ثمارها الشهية.

فإن سمعنا طير الروح مثلما سمعه شاعرنا المجيدان وأصغينا بامعان للحنه السماوي فقد نجد فيه رسالة أو رسائل من وعي الروح الأسمى إلى وعينا الحسي، وقد يحصل ترابط ما بينهما بفضل ذلك الإصغاء التناغمي الدقيق. ومع حصول ذلك التواصل تتحقق الغاية من الإشاد والإصغاء.

استعملنا عبارة طير الروح لأن الإنسان في جوهره روح. وهذه الروح أو النفس لدى استيقاظها تمتلك وحدها القدرة على تخطي الحواجز المادية والإبحار في عوالم أثيرية هي في الأصل عوالمها، مثلما لها القدرة على التواصل مع خالقها ومع غيرها من النفوس المتيقظة. وما من شيء له القدرة على تحفيز الإنسان وتفعيل طاقاته لتوسيع مجال وعيه وتمديده كنفسه التي ما أن تحس بطلان شمس اليقظة الروحية حتى تستجد بقواها الباطنية لتبديد ظلمة الدهور التي تفصلها عن بارئها الذي لن ترتاح ولن تتذوق طعم السلام إلا بالتوصل إلى قممها المتألقة وملامسة حضوره الأقدس.

الجبال ذات القمم معروفة لدينا على هذه الأرض ولها كيائها وهيبتها، وهي من أكثر الثوابت ديمومة في هذا العالم. ولعل شاعرنا الضليل امرؤ القيس أدرك هذه الحقيقة في ساعاته الأخيرة عندما وافته المنية قرب جبل عسيب، فراح يناجي صاحبة الضريح الذي راح يحتضر قربه ويقول:

أجارتنا إن المزارَ قريبُ

وإني مقيمٌ ما أقامَ عسيب

أجارتنا إنا غربيان ها هنا

وكل غريبٍ للغريب نسيبُ

فإن كانت الأرض التي مصيرها الزوال في نهاية أطوار الخليقة تفخر بجبالها الثابتة التي لا تزلزل ولا تزول بسهولة كباقي المظاهر الطبيعية الأخرى، فهل بإمكاننا الإستنتاج بأن الروح التي خلقت للبقاء لا للفناء هي أيضاً تحوي قمماً أكثر شموخاً وثباتاً وروعة وعظمة من قمم عسيب والقليب وأفرست وماكالو ولوغان وزغروس والأطلس والألب والروكي وصنين وكيليمانجارو؟

إن كانت الأرض وما عليها هي رموز للسماء وما فيها (كما في السماء كذلك على الأرض) فلا بد من وجود الشوامخ الروحية التي في انتظار متسلسليها ولا أقول قاهريها كما يحلو للبعض وصف رواد القمم العالية.

وما عسى أن تكون تلك الجبال الباطنية التي تنادي قممها الطامحين وترحب بمقدمهم الميمون؟

وهل يسمح قارئنا الكريم بأن ندعوها قمم الشوق والمعرفة والاتحاد والفرح وتحقيق الغاية؟

ومتى بلغنا القمة الأولى فقد نتمكن – بفعل التحرر الكامل من الأرض وجاذبيتها – من التنقل ببسر وسهولة بين باقي القمم المباركة.

فإن قصدنا قمة الشوق وبلغنا ذروتها نشعر بقربنا من قمة المعرفة القريبة من قمة الإتحاد فنستشرف قمة الفرح ونجد نفسنا قد بلغناها بمجرد معاينتها، مما يدنبنا من قمة تحقيق الغاية وبذلك نكون قد أفلحنا في انطلاقتنا وتنقلنا بين واحات النفس ومحطات الوعي.

اليقظة الروحية التي ألمحنا إليها قد تبدو بالنسبة للكثيرين مصطلحاً غيبياً أكثر منه واقعياً نظراً للمفهوم السائد عن حالات النعاس والنوم واليقظة المعتادة التي يختبرها المرء كل يوم تقريباً من أيام حياته. لكن أساتذة الروح يخبروننا أن ما ندعوها يقظة على هذه الأرض هي أقرب إلى السبات من الصحوة، وأن اليقظة الحقيقية هي انفتاح الوعي على حقائق جوهرية بالرغم من عدم قدرة الحواس على تحسسها والتثبت منها.

في معظم الحالات تقتزن كلمة اليقظة بالحيطة والحذر. والإنسان يحذر الأمور الضارة ويحتاط لها بشتى الوسائل والطرق خوفاً من أن تباعته ويحصل ما لا يحمد عقباه. فاليقظة المطلوبة في الأمور الروحية كما في المادية أيضاً، لأن الحياة تعج بالمخاطر وليس من الحكمة أن يرخي الإنسان حبل اليقظة ويخلد للنوم في أماكن غير آمنة وفي ظروف غير مأمونة العواقب.

وعودة إلى حكيمنا وشاعرنا الخالد عمر الخيام، فهو لم يغفل أيضاً هذه الحقيقة عندما أهاب بعشاق الآفاق كي يستفيقوا من نومهم بحسب ما نقرؤه في هذين البيتين:

أفقٌ خفيفَ الظل هذا السحرُ

نادى دُعَ النومِ وناغَ الوترُ

فما أطالَ النومَ عمراً  
ولا قصرَ بالأعمار طولَ السهرِ

وكانني به يقول إلى من يهمله الأمر:

"لقد آن الأوان للاستيقاظ من إغفاءة الوعي المادي التي رانت على العقل وأبقتة بعيداً عن مقاربة الوعي  
الروحي لأجل وأجال.

أجل.. فهذا سحرٌ أو فجر اليقظة الروحية يناديكم لهجران النوم ومناغاة وتر البصيرة الحديثة التفتح. فالنوم  
مهما كان ممتعاً لذيداً لا يطيل عمر المرء، ولا السهر يقصر من عمره."

وهذه دعوة واضحة من ذلك العملاق الروحي لمداومة السهر التأملي أو اليقظة الروحية درءاً لهجمات فلول  
الجهل التي ما فتئت تتعقب رواد الحكمة بغية الإيقاع بهم وعرقلة مسيرتهم.

فعلى ما يبدو أن الخيام أدرك عمق وأبعاد النفس البشرية وصلتها بوعي الله الكوني، وأن لا سعادة ولا رضاء  
لها إلا بعودتها إلى منشأها الأصلي الذي عنه صدرت وإليه المآب عاجلاً أم آجلاً.

### لماذا رفض أرفع المناصب؟

في سالف الأزمان عاش بعض الرجال الصالحين في صومعة هادئة على كتف وإد متاخم للغابة، حيث نفحات  
السلام دائمة التصوع والحب الأخوي السمة المميزة لتلك الخلوة المباركة.

كان إخوان الصفا أولئك يقتاتون بالثمار الطازجة التي تجود بها الأشجار ويستعملون أكفهم المضمومة لشرب  
الماء الحي المشعشع والمتدفق من ينابيع الجبلية الثرة الصافية.

أعينهم كانت تلمع وتبرق كوميض الألماس بابتسامات سماوية ملؤها القناعة والرضا، وقد استوطن الفرح  
قلوبهم فغمرها بالعزاء الدائم .

مع كل ذلك شعر أحد هؤلاء المباركين أنه قد شبع من السعادة الروحية واشتاق لتذوق طعم المجد الدنيوي ولو  
إلى حين. تملكته رغبة في أن يصبح ملكاً ليوم واحد فقط فودع إخوته وهام على باب الله بحثاً عن سعادة  
ملكية.

وفي طريقه ابتهل لله من كل قلبه قانلاً: "يا رب يا كريم. يا من تسمع الدعاء وتحقق الرجاء، أسألك أن توجه  
خطاي إلى قصر أستمتع فيه ليوم واحد بالسعادة التي يتمتع بها الملوك".

وما أن أكمل ابتهاله حتى وقعت عيناه على صرح مهيب فقال بينه وبين نفسه: "يا ساعة الرحمن! ها قد حقق  
الله حلمي وها هي السعادة المنشودة على وشك أن تصبح في متناولي." وسارع الخطى قاصداً ذلك البناء  
الفخم.

لم يوقفه حراس فدخل من البوابة الرئيسية دون عائق، وراح يتجول في أرجاء الحدائق الغناء المرصعة بأندى  
وأبهج الورود والرياحين دون أن يبصر شخصاً واحداً.

بعد ذلك انتقل إلى قاعة الطعام الملكية فوجد الموائد عامرة بأشهى الطعام في انتظار قدومه. ومع ذلك فلم يبصر  
خادماً واحداً في المكان. فقال بينه وبين نفسه: "ما أكرمك يا رب! فقد جسدت من أجلي هذا القصر الرائع وهذا  
الطعام الطيب الذي يليق بالملوك. هكذا تمنيت عليك فما عتّمت أن حققت حلمي يا أكرم الكرماء".

وإذ اقتنع بأن الرحمن الرحيم أكرمه بتحقيق أمنية قلبه راح يتأمل الأطايب التي في انتظاره موقناً في قرارة  
نفسه أن الله سبحانه أعم عليه أخيراً بسعادة ملكية طال انتظاره لها. وقيل تناول الغداء ذهب إلى البانيو الملكي  
فاستحم ولبس ثياباً حريرية فاخرة ثم جلس إلى أم الموائد وراح يتناول ما لذ له وطاب من محتوياتها التي في  
منتهى اللذة.

في تلك اللحظة دخل الخدم الذين كانوا يقامرون في أحد أركان القصر، وبثورة وهيجان عارمين استنطقوه  
قائلين: "من أنت يا هذا لتأكل طعام سيدنا الملك الذي ذهب في رحلة صيد وتوقع قدومه في أية لحظة؟"

هنا ظن صاحبنا أن الله سبحانه يمتحنه فقال لهم بنعمة عذبة: "أنا صديق الملك الأعظم، وقد حضرت إلى هنا بناء على طلبه الكريم لأستمتع بسعادة ملكية ليوم واحد".

وإذ لاحظ الخدم هدوءه غير العادي وثقته بنفسه اعتبروه بالفعل ضيفاً على الملك فتركوه يكمل غداءه الملكي. بعد ذلك أخذوه إلى حجرة النوم كي يأخذ قسطاً من الراحة، غير عالمين أن "الملك الأعظم" الذي ذكره لم يكن ملكهم الدنيوي الذي كان في رحلة صيد، بل ما عناه هو السيد الرب.

بعد مضي ساعتين تقريباً حضر المنادي على جناح السرعة ليخبر الخدم أن صاحب الجلالة تأخر قليلاً وسيحضر بعد ساعة ويأمرهم بأن يكون الطعام الطازج الشهي في انتظاره .

فتساءل الخدم: "ألم يرسل صاحب الجلالة ضيفاً ليستمتع بطعامه وينام في فراشه؟"

وعلى الفور أدرك مبعوث الملك أن أحد الدراويش المتسكعين حضر إلى القصر دون دعوة فالتهم طعام الملك وهو الآن يشخر في سريره. وإذ تملكه الغيظ لتلك الوقاحة غير المعهودة طلب من الخدم أن يحضروا العصي ليكسروها على الشحاذ الدرويش.

غني عن القول أن صاحبنا الطيب الذكر أفاق من الأحلام الملكية على وقع العصي التي كانت تنهال عليه من كل حذب وصوب دون رحمة أو شفقة. ولكن مع إمعان الخدم بضربه وشمته كان يغرق في الضحك مما أثار حفيظتهم فواصلوا ضربهم له حتى أغمي عليه فسحبوه إلى خارج بوابات القصر فاقد الوعي.

تأخر صديقنا الدرويش في العودة إلى إخوته فراحوا يبحثون عنه حتى وجدوه غائباً عن الوعي وملقى خارج تخوم القصر فحملوه وعادوا به إلى صومعتهم الهادئة. وبينما كان أحد الأخوة يضع الحليب في فمه سألته ليعرف ما إن كان قد استرد وعيه: "هل تعرف من الذي يسقيك الحليب؟" فأجاب: "نعم أعرف. إن الإله الذي أوسعني ضرباً لرغبتني في التمتع بسعادة ملكية ليوم واحد هو نفسه الذي يسقيني الحليب الآن".

شكر باقي الإخوة الله على سلامة أخيهم وأعجبوا بإيمانه القوي بالله الذي لم يتزعزع، بخلاف الذين يعبدون الله أيام العز والرخاء ويجحدونه في وقت الضيق والبلاء".

في غضون ذلك عاد صاحب الجلالة إلى قصره الفخم وطلب الطعام الذي أمر بتحضيره. تملكه الغضب لبرهة قصيرة عندما علم بقصة ذلك الشحاذ الذي تجرأ على تناول طعامه ولم يتوقف عن الضحك عندما كان الخدم يضربونه ضربات مبرحة بالعصي.

ولسبب ما تأثر الملك بتلك القصة التي لازمت أفكاره فأمر خدامه بالبحث عن ذلك المعدم الجريء وإحضاره إليه، فانطلقوا يفتشون عنه في كل اتجاه دون جدوى. وأثناء عودتهم ليانسة إلى القصر مروا بالقرب من صومعة الدرويش فسمعوا ضحكة مجلجلة أدركوا على الفور أنها ضحكته ليس غيرها، فترجلوا ودخلوا الصومعة عنوة واختطفوا ذلك الرجل الطيب وساروا به ليضعوه أمام حاكمهم.

وعندما تواجه الملك والدرويش راح درويشنا يقهقه أكثر من الأول كما لو أنه كان عاجزاً عن احتواء غبظته داخل أسوار قلبه. وبالرغم من الطلب المتواصل للملك كي يخبره عن سبب ضحكه رفض الدرويش الإجابة حتى تحت التهديد بالعقاب الصارم.

بعدها لجأ الملك إلى التودد والاسترضاء بدافع الفضول وعرض عليه عرشه إن هو أخبره عن سبب ضحكه أثناء ضرب الخدم له.

عندئذ تكلم الدرويش قائلاً:

"إسمع ما سأقول لك واستوعبه جيداً. لقد ضربني الله ضرباً مبرحاً لاشتغائي السعادة الملكية الواهمة ليوم واحد فقط لا غير. ضحكت وأضحك لأنني (زمت بجلدي) وأدركت أنني إن كنت استوجبت كل هذا العقاب لتمتني بمباهج ملكية لبعض ساعات فما بالك بمن لا هم له في الدنيا سوى المتع والمذات، لا سيما الملكية منها! ولعل في ذلك درساً وموعظة لك يا ملك الزمان لأن قانون الكارما بالمرصاد ونصيبك على الطريق.

أما بخصوص عرشك الذي عرضته عليّ فجوابي هو: كثر خيرك. احتفظ به لنفسك فأنا لست بحاجة له لأنني سعيد في الله وقانع في حياتي ولا حاجة بي إلى ما يكدر فرحي ويعكر عليّ صفوي".

المصدر: برمهنسا يوغانندا

## عند الحد الفاصل

أود لو سمحتم أن تكون محطتنا التالية الطبيعة نفسها لنقرأ ما خطته يد القدير على صفحاتها ونستبين ما فيها من رموز وكنوز.

ما من شك أن الطبيعة لم تخلق ذاتها بل أنها نتاج عقل الله الكلي الذي تصورهما أولاً ثم أطلقهما بكل ما فيها من عظام مدهشة تسبي العقول وتذهل الأبواب. ولعل قربنا منها وكثرة وطول ألفتنا لها جعلتا نضرب صفحاً عن التأمل في روائعها ومحاولة معرفة أسرارها.

هذه الطبيعة التي لا نظير لها لأننا لا نعرف طبيعة غيرها لنقارنها بها هي دليل دقيق إلى ماهية العقل الذي أبدعها.. عقل الله. وهي محراب للنفوس التي يطيب لها التأمل المزدوج.. تأمل العين وتأمل العقل معاً.

فإذ يرفع الإنسان عقله وقلبه ونفسه إلى السماء يعاين مجد الله ظاهراً في الإتساع الذي لا حدود له وفي تلك المظاهر التي تبدو أبدية.. القمر الشمس والنجوم التي عاينها قبلنا الأنبياء وأناس حتى ما قبل التاريخ..

وهذه الظاهرة الكونية العجيبة تسيرها قوى لا متناهية تدفع بسهولة مطلقة المجرات والشموس الأكبر من درب التبانة ومن شمسننا بملايين المرات، وفي نفس الوقت تحرك النسيمات الرقيقة وتفتح زهور الأعشاب النحيلة وتسري طاقة وحيوية في عروق البشر وكل المخلوقات الحية.

هذه الطبيعة الخالدة تضم في قلبها أسراراً كثيرة في انتظار من ينقب عنها ويكتشف روعتها.

العلماء اكتشفوا وما زالوا يكتشفون الكثير من أسرارها العلمية، لكن أسرار قلبها لا تعطى إلا لمحبيها والمقتربيين من محرابها القدسي بدهشة واحترام.

ماذا عسانا أن نجد في قلبها لو تمكنا من الوصول إلى ذلك القلب الزاخر بالكنوز؟

أول ما قد نبصره هو تلك الأفكار الإلهية التي هي البذور الأولية التي نثرها الزارع الكوني وما زالت تجدد ذاتها بديمومة سرمدية ودقة متناهية لا محل إطلاقاً فيها للخلل أو الخطأ.

ثم نرى المظاهر الكونية معكوسة في ذلك القلب الكبير ومعها الرعاية الشاملة لكل ما أبدعه عقل الله.

وإن أصغنا السمع لترانيم ذلك القلب الأقدس فقد نسمع أنغاماً من غير هذا العالم توحى باتصال الحياة على كافة المستويات.

وما من شك أيضاً أن الطبيعة هي أبرع وأدق مترجم لعظمة الله ومجده. فمن يتفكر بأشجار السنديان ذات الإرادات الجبارة ودوالي أو (ديارات) العنب في الكروم الكريمة، والمروج المزدانة بالزهور الناضرة والحقول المتماوجة بسنابل القمح المباركة يشعر أنه يتوحد معها وينطبع حسنها على صفحات قلبه.

لا حد لجمال الطبيعة الذي متى انتقل إلى النفوس المتناغمة يمنحها ليس الجمال وحسب بل الفرح والمحبة أيضاً وكذلك التفاؤل باستمرارية الحياة وتجدها المتواصل.

والنفوس التي تلامسها الإشعاعات الخفية المنبثقة من قلب الطبيعة تتوحد معها وتتغنى بأمجادها الكامنة أيضاً في أعماق النفس.

ومن يسعفه الحظ وينتقل بين الحقول الزاهرة والجداول المترنمة والأشجار الباسقة وتلامس وجنته النسائم العبقرة المشبعة بشذى الزهر يحس بقربه من النبض الكوني الذي جسد هذه الروائع ووضع في كيان الإنسان ذائقة جمالية تتفاعل مع محاسن الطبيعة ويشملها سحر الإبداع وخصوبة العقل الإلهي.

وقد لا يقف البعض عند هذا الجمال الأسر بل تستحثهم همهم وتنخيهم مروعتهم للتعمق في التفكير بذلك المشغل الكوني العجيب الذي يخلق منتجات تامة الإتقان وغير خاضعة للنقد أو التقييم. فالتقييم والنقد مصدرهما العقل البشري أما تلك الروائع المدهشة فمصدرها العقل الكوني الذي لا قدرة للعقل البشري على معرفة خفاياه إلا بالاتصال به والتوحد معه، والذين يحققون ذلك هم قلائد وقد لا يفصحون عن تجربتهم التي لا قدرة للغة البشر على استيعاب معانيها واحتواء أبعادها.

الطبيعة دائمة التجدد لأنها اثبتت عن فكر أبدي السكون ودائم الحركة في أن.. لا انقطاع لسكينته ولا توقف لحركته. وعندما يقف العقل على الحد الفاصل بين الظلمة والنور واليقظة والنوم والمادة والروح والمد والجزر

والحرارة والضوء فقد يدرك أسرار الطبيعة ويا لها من أسرار يلفها الغموض وتغلفها الخفايا، إنما غير مستصية على محبي الطبيعة وعشاقها.

## هناك يتجرأ الفكر...

في تلك الواحة المباركة التي تضم بين ظهرانيها أشجار السلام وأنهار الإلهام وتشرق في سمانها شمس اليقين التي تسكب إشعاعاتها على ورود الأمل فتفتح بتلاتها وتطلق أريجها لتعقب به الأجواء وما أعذب أجواء الواحات العابقة بالأريج الفواح!

إنها واحة القلب المفعم بالسلام الإلهي والمغسول بمياه الروح. إذ ذاك يصبح هيكلًا قدسياً تتوارد إليه الإلهامات وتشتاق الأرواح الطيبة زيارته لأنه على صلة وثيقة بالذات العليا التي تغذيه بإكسير المحبة وتهبّ عليه بأنسام الشوق اللطيفة. تلك النسائم التي يستعذبها أصحاب الأحوال إبان سفرهم الصحراوي الطويل نحو واحة الأمن حيث الأمل المنشود واللقاء الموعود.

في تلك الواحة الظليلة يجد القلب ضالته ويلتمس راحته التي طالما تشوق إليها قبل وأثناء السفر.

هناك.. في خلوة الذات.. يستذكر المرید أحداث حياته ويتأمل محطات العمر بما فيها من حلو ومر.

قد يحس بفرح غير معهود يتوارد إليه.. وقد يطرق سمعه أنغام جديدة وفريدة كأنه سمعها من قبل بالرغم من عدم قدرته على تصنيفها أو توصيفها حتى لنفسه.

وقد يرى أفكاره تخطر جينة وذهاباً على دروب عقله.. وبين حين وآخر قد يبصر سطوعاً مباحثاً يأتي بانسجام فوري لعناصر الروح والعقل والجسد ويعمل على خلخلة الصخور التي تسد منافذ النفس وربما إزاحتها من أمام فيض النور الدافق فتمتزج الروح ولو للحظة عابرة ببحر النور الكوني الذي عنه اتبثقت النفوس ولا بد من العودة إليه ولا بديل مهما طال زمن الإغتراب.

في تلك اللحظات يتحدث الصوت الداخلي همساً وإيحاءً للنفس المستغرقة في التأمل العميق ويطلعها على الأسرار المتصلة بطبيعتها ويخبرها عن الكنوز التي كانت وما زالت لها وفي انتظارها.

يخبرها عن غاية الحياة وعن صلتها العضوية بخالق الحياة والنور.. وعن الغبطة السرمدية التي من نصيبها عندما تقرر العودة من تلقاء ذاتها إلى المقر الأولي الذي لا قرار ولا استقرار إلا فيه. وكأن الشاعر أشار إليه تلميحاً وتصريحاً عندما قال:

كم منزل في الأرض يألفه الفتى  
وحنينه أبدأ لأول منزل

هناك في تلك الواحة ذات السلام والسكينة تنزغ أفكار جديدة وتومض أقباس عديدة وينسكب رحيق الروح في أفداح الوعي وما أذه من شراب!

هناك يبصر المرید كواكب السعد ويتذوق طعم السعادة الحقيقية النقية، مثلما يعرف بكل ثقة ووضوح الفرق بين فطور المعارف ولبابها وتبين الأشياء وحبوبها.

هناك يتضافر التحفيز الباطني مع الدفع الذاتي والحث الوجداني لإيقاظ النفس من نومها العميق أو غيبوبتها الطويلة التي سلبتها الكثير من كنوزها المعنوية وأضاعت عليها العديد من الفرص الذهبية.

هناك يبزغ التصميم الراسخ في أعماق النفس لجعل الغاية القصوى الهدف النهائي والرغبة الأولى في حياة المرید.

وهناك أيضاً يتجرأ الفكر على النفاذ إلى آفاق العقل الكلي ويتتبع مسار الأفكار القديمة والحديثة فيراها ماثلة أمامه بكل جلاء ولن يحتاج إلى من يقنعه بصحتها أو بطلانها لأنها تخضع تلقائياً لميزان بصيرته الدقيق الذي لا يمكن مخادعته كونه أكثر دقة من أدق مخترعات الإنسان الرقمية.

ومع هذا الإدراك يعرف أنه اقترب من مشارف الوعي الكلي مستودع كل القوى والأفكار والإبداعات والإجازات التي تمكن أقطاب وعابرة وجهابذة الأدب والفن والعلوم والمخترعات من مقاربتها والاتصال بها.

فكلها موجودة في مستويات أثرية غير مستحيل الوصول إليها واختبارها ولو للحظة أو لحظات بما يكفي للتيقن من وجودها الذي لا خلاف عليه بين أرباب الوعي ورواد الروح.

الخيال وحده – مهما كان خصباً وواسعاً – لا يكفي لبلوغ تلك الآفاق الشفافة التي لا يمكن الوصول إليها إلا عن طريق تدريب ملكات روحية محددة ذات صلة بالتحكم بالطاقة الحيوية أو النشاط الجسدي الذي ينبغي إعادة تأهيله وتحويله إلى قنات خاصة تسحبه طبيعياً وتلقائياً من انهماكه المتواصل في الجسد وأموره وترتفع به إلى مستويات من الوعي في انتظار من يرتادها ويعرف أسرارها.

وبما أن الوعي ملازم دائماً وأبداً للطاقة أو النشاط فإن سحب الطاقة الحيوية من الجسم يعني بالضرورة سحب الوعي أيضاً والإرتقاء به إلى مناطق أسمى اكتشفها علماء الروح وأجمعوا على حقيقة وجودها، ورسموا لها معالم وابتنوا لها جسوراً وسلاماً لمن يهمهم الأمر ويشدهم الشوق لتحقيق غاية الحياة.

## وتكبر الدائرة...

تحدثنا في موضوع سابق عن القلب فلنتحدث قليلاً عن النفس ذات الحضور القوي على هذه الأرض. إذ حيثما نظرنا وأينما توجهنا نبصر نفوساً ضمن أجساد تعرب عن وجودها وتعبّر عن ذاتها بألف طريقة وطريقة. وقد علمنا أن وجود النفوس على هذا المستوى الأرضي يعود إلى رغبات ربما من الماضي السحيق لم تتحقق وليس من الممكن تحقيقها إلا في نفس الظروف التي خلقت تلك الرغبات في مبدأ الأمر. لا نعرف بالضبط أين ومتى حدث ذلك إنما قد تساعدنا النتائج في التعرف على الأسباب. التفاصيل ليست على درجة كبيرة من الأهمية، فلن نحاول البحث عنها والوقوف عليها. وعلى أية حال هذا ليس بالأمر اليسير. البذور لها خاصيات أو مورثات محددة تنتقل من واحدة إلى أخرى مما يجعل استمرارية الحياة ممكنة على هذه الأرض وربما في غيرها من الكواكب الأخرى في فضاء الله اللامتناهي. فالأشواق التي ظلت أشواقاً وربما أشواكاً تؤرق النفس بعد رحيلها وتحول دون إقامتها الدائمة في العالم الآخر واستمتاعها بمحاسنه وروايعه هي عبارة عن حبال غير منظورة مشدودة إلى هذه الأرض، ويدورها تشد النفس شداً للعودة بها إلى حيث نحن الآن بمعية الغائمين!

يقال أن النفس بعد انتقالها للعالم الآخر تتمتع بمباهجة إلى حين تستيقظ رغباتها من هجعتها المؤقتة فتنتق وتلح على النفس بالتحقيق السريع. وبما أن تلك الرغبات هي بمثابة بذور حية قابلة للنماء فإنها تمتلك قوة حيوية فاعلة لا تكف ولا تهدأ حتى تغني موالها الذي ينتهي بالعودة إلى هذه الأرض وخلق الظروف المناسبة لتحقيق رغبات ومشتهيات ما زالت تعس كالجمر الحي تحت الرماد.

ومن يدري، فإبان العودة الميمونة أو المغبونة إلى هذه الأرض قد تتناسل الرغبات وتتضاعف مما يجعل من المستحيل تحقيقها في فترة زمنية وجيزة إبان سنوات معدودات، طال أم قصر، على هذه الأرض. والرغبات التي لم يتسن بعد تحقيقها تسبب الكثير من الهواجس والمعاناة والإحباطات والهموم.

الناس الذين نراهم ونتعامل معهم مدفوعون لا شعورياً إلى تحقيق حاجات أو رغبات تمتلك ما يكفي من القوة لتحرك الأجساد التي تتحول إلى أدوات لتحقيق تلك الأمنيات العزيزة التي ما أن تتحقق إحداها حتى ينبت غيرها بسرعة ملحوظة ويروح يلح على العقل بلجاجة غير عادية لتحقيقها كسابقاتها.. الله يستر!

وتكبر الدائرة وتتحوّل إلى دوائر وحلقات مفرغة ويفلت الزمام من اليد ويجد الإنسان نفسه رهن إشارة رغباته وتحت أمرها. تأمره فيطيع وتطلب منه ما تريد فيقول على راسي!

ولكن لا حاجة لاستمرارية تلك الدوامة المزعجة إلى ما لا انتهاء. فالحكمة تكمن في غرلة الرغبات ونخلها للإستبقاء على الضروري اللازم منها والتخلص من البقية الباقية أو الكثرة الكاثرة العائرة (أي الهزازية الهزيلة) التي لا تسمن ولا تغني من جوع.

ومتى هدأت ثورة الرغبات النارية وانطفأ جمرها الخبيث الحارق يبرز بُعد جديد في النفس من السكينة والطمانينة الذاتية ويحصل تناغم عفوي مع أجواء السلام الباطني التي كانت محجوبة بغيوم الرغبات التراكمية الربداء ودخانها القاتم القاتل، فتعيش النفس براحة وأمان بفعل انعدام مشتهياتها غير الصحية وتتمتع بحالة من الرضاء الباطني تصفها وصفاً دقيقاً عبارة (صاحب النفس المطمأنة).

فإن حققت النفس هذا الإنجاز الكبير إبان تجسدها الأرضي فستنتقل عندئذ راضية مرضية وتدخل في عداد عباد الله من ذوي الإقامة الدائمة في جنات النعيم، ولن تضطر للعودة ثانية إلى وادي الدموع والحسرات والأحزان.

ولذلك يوصي الحكماء باستغلال اليقظة الروحية مهما كانت طفيفة لعمل كل ما من شأنه تعزيز حرية الروح

وتوسيع مداركها وتفتيح وعيها وكسر أصفادها وأغلالها المقيدة.

وربما إلى هذا ألمع شاعرنا الألمعي أبو القاسم الشابي عندما قال:

فلا بد لليل أن ينجلي  
ولا بد للقيد أن ينكسر!

ها قد بزغ فجر يوم جديد وهبت نسائمه رقيقة منعشة تستنهض هممنا لمواصله المشوار على دروب الوعي .  
وهبوب النسائم يذكرنا أيضاً بهبوب ريح الصبا وبالنصيحة الخالصة الخالدة (إذا هبت رياحك فاغتمها). فلنغتم  
رياح الفرص المتاحة متحدين في المبدأ ومتحدّين بذلك أنفسنا لخلق شيء جديد، للتفكير بطريقة جديدة،  
للإطلاق ولو بالفكر نحو آفاق بعيدة ..نحو رؤى جديدة.

أجل فالفرصة التي تفرع الباب ينبغي الترحيب بها والاستفادة منها إلى أقصى الحدود لأننا قد لا نرى وجهها  
ثانية. فإن أصغينا لصوت البصيرة الذي يستحثنا دائماً وأبداً للإطلاق نحو الغايات السامية.. وإن جندنا طاقتنا  
– التي غالباً ما تُهدر في أودية الضياع – في سبيل بلوغ تلك الغايات نكون بذلك استفدنا وأفدنا من الفرص  
الموهوبة لنا.

وإن بقينا واعين متيقظين لأسمى واجبات الحياة، محاذرين النوم على دروب الغفلة واللامبالاة نكون مستفيدين  
إلى أقصى حدود الاستفادة من الفرص الذهبية المواتية إبان مواسم عمرنا وفصول حياتنا على هذه الأرض .  
ومن يستفيد ويفيد يضمن حظوظاً أفضل في هذه الدنيا وفي العالم التالي.

ولعل شاعرنا الخيام أدرك هذه الحقيقة وعبر عنها تعبيراً رمزياً أخطأ الكثيرون تفسيره وفهمه.  
فعندما قال:

ارتشف ريقَ العناقيد يبدُ  
ما تقاسي من تباريح الكمد  
لا تؤجل فرصة اليوم لغد  
وإصابي من غد إن أقبلا  
ورفاتي هامة تعوي بقاع

لم يحرّض بذلك على شرب الخمر كي يتخلص الإنسان مما يعانيه ويقاسيه من الآلام المبرحة، لأن البيت الثاني  
يشي بالمعنى الروحي لما يريد قوله.  
عبارة " ارتشف ريق العناقيد" أو النبيذ هي تعبير صوفي صرف. فالارتشاف هنا يعني التأمل العميق على الله  
والذات وعلى أسرار الكون. وريق العناقيد هي تلك النشوة الصوفية أو الغبطة الروحية الناجمة عن التأمل  
الصحيح. فإن أفلح المرید في تأمله وتوصل إلى الغبطة الباطنية يتمكن عندئذ من التخلص مما يعانيه من  
صعوبات العيش وهموم الحياة.

المعنى الظاهري يوحي بشرب الكؤوس حتى تدور الخمرة في الرؤوس ويحصل الشارب على ساعة صفا إلى  
أن تروح السكره وتعود الفكرة فيجد نفسه حيثما كان قبل ارتشاف ريق العناقيد. ومن المستبعد بل وغير  
المحتمل إطلاقاً أن ينصح هذا الحكيم العظيم أهل الدنيا بشرب الخمر للتخلص من الهموم والمعاناة.

وها هو البيت الثاني يلقي الضوء على المعنى المقصود، وهو اغتنام الفرصة اليوم وبذل المجهود الروحي  
الآن قبل أن يقبل الغد (أي تحين الوفاة) دون مخزون روحي يضمن للنفس مستقبلاً أفضل سواء في العالم  
الأخر أو هنا على هذه الأرض إن قدر لها العودة ثانية إلى الحياة الدنيا.

ألا ليت طائر الروح الصداح في فجر الاستفاقة الروحية يبقي النفس دائمة اليقظة، بعيدة عن غيبوبة الغفلة  
والنسيان.

وليت ورود الوعي تتفتح في بساتين النفس وتطلق أريجها القدسي ليعطر الأجواء بالحب الإلهي.

وليت روح الجمال في الطبيعة يجمّل الأفكار ويوحي للمشاعر بالبحث عن جمال الروح في روح المرید ومن  
حوله.

وكما تمتص الزهور غذاءها وألوانها البديعة من أشعة الشمس الدافئة، هكذا لترتشف أحاسيس الإنسان  
الإشعاعات الإلهية التي لا تغيب أبداً من سماء الروح.

ألا أن كل ما خلقه الله يتحدث للإنسان بألف لسان ويستحثه كي يبحث عن ذلك المصدر السري لعجائب الكون.. عن ذلك المصنع العجيب غير المنظور الذي أنتج وينتج كل ما يعجز الإنسان عن صنعه ولا قدرة له على الإستغناء عنه.

فتحية إلى ذلك العقل الكلي أو الوعي الكوني الجبار الدائم الجود، والذي لولاه لما كان للإنسان من وجود.

والسلام عليكم

### شيشرون ألمع خطباء الرومان: حياته ومماته

قال شيشرون قولاً

حبذا القول الفصيح

إن بيتاً بلا كتب

جسد من غير روح

هكذا استشهد أحد شعرائنا العرب بقول شيشرون الذي اقترن اسمه بالفصاحة والبيان المشرق. فمن هو ذلك الخطيب الأريب الذي ما زال يعيش في ذاكرة التاريخ بعد مضي أكثر من ألفي عام على وفاته؟

ولّد ماركوس توليوس شيشرون عام ١٠٦ قبل الميلاد وقد عاش في زمن تميز بالدسائس والحراك السياسي حيث كان الضعف والإتحال قد تسربا إلى جسم الإمبراطورية الرومانية وأذنت شمسها بالغروب.

كانت ولادة شيشرون في مدينة أبرينوم لأسرة من الفرسان وقد تم إرساله إلى روما في سن مبكرة لتلقي العلم على يد خطبائها وفلاسفتها. فأنهى مقرراته الدراسية بتفوق حيث درس الفلسفة والقانون وتعلم كافة النواحي المتعلقة بفن الخطابة فأتقنها وأصبح أحد أقطابها.

في سن السادسة والعشرين بدأ عمله كمراجع في المحاكم القضائية. وبعد فترة من السفر والترحال حيث زار مراكز التعليم في آسيا الوسطى وأثينا عاد إلى روما فلمع نجمه وانتُخب رئيساً لمجمع خطباء الرومان.

في العام ٧٥ ق.م. عُين مفتشاً عاماً على الخزينة والإدارة وتم إيفاده إلى صقلية حيث أحبه الناس لعدله وطلبوا منه تمثيلهم في قضيتهم التي رفعوها بحق حاكم جزيرتهم فريس الذي كان قد نهب أموال الخزينة العامة. ومع أن فريس طلب من المحامي الأشهر هورتينوس كي يمثله في تلك القضية إلا أن شيشرون انتصر عليه انتصاراً ساحقاً من الجولة الأولى، مما اضطر فريس إلى مغادرة الجزيرة.

بعد ذلك ارتقى شيشرون إلى مناصب أعلى وازداد نفوذاً وكبُر في أعين الناس بحيث أصبح مستشاراً عاماً في العام ٦٣ ق.م. وخلال هذه الفترة فضح المؤامرة الخسيسية للسناتور كاتيلين وطرده من مجلس الشيوخ بعد أن شهّر بأفعاله القدره ودسانسه الدنيئة. وقد خلد التاريخ تلك الخطبة التي كانت بعنوان (الخطبة الأولى ضد كاتيلين).

في أوج مجده وقوته أطلقت عليه ألقاب عديدة منها: أبو البلاد ومخلص الدولة من الفساد، لكن الأقدار كانت له بالمرصاد! إذ ما أن أكمل فترة خدمته في مجلس الشيوخ حتى اتهمه أعداؤه بإعدام زعمانهم في مؤامرة كاتيلين دون منحهم حق الدفاع عن أنفسهم ومحاکمتهم محاكمة عادلة. وقد هيج محامي الشعب بوليومس كلوديوس الناس على شيشرون بحيث اضطر للذهاب إلى منفاه الاختياري في تساولنيقا في العام ٥٨ ق.م.

وبعد حوالي السنة والنصف استدعي إلى روما، وكانت الأحداث تسير بوتيرة متسارعة للسيطرة على بلدان الإمبراطورية الرومانية حيث كان يوليوس قيصر وبومبي على سدة الحكم آنذاك.

وبعد اغتيال يوليوس قيصر ألقى شيشرون وألقى سلسلة من الخطب ضد مارك أنتوني الذي كان مؤيداً لقيصر، وقد كانت تلك الخطب بداية النهاية لشيشرون. وعندما شكلت حكومة جديدة من ثلاثة أقطاب كان مارك أنتوني أحد الثلاثة فأمر بوضع إسم شيشرون على قائمة المتهمين. وبينما كان شيشرون يعد العدة للهرب أحاط به جنود أنتوني وقطعوا رأسه.

يعتبر شيشرون أحد ألمع الكتاب القدامى، أما خطبه فقد حافظت على مستواها الرفيع ولم يتمكن خطيب من مجاراتها نظراً لسلاستها وفصاحتها وأسلوبها المميز. كما ترك مجموعة من الرسائل التي تعطينا صورة حية عن المجتمع الروماني القديم الذي عاش فيه أبو الخطابة والخطباء شيشرون الأشهر.

الرسام العظيم الذي أحب الموسيقى والخيول والكلاب

وُلد الرسام الفلمنكي المشهور السر أنتوني فاندايك في العام ١٥٩٩ ويعتبر من أساطين رسم الوجوه على مر القرون.

كان يحلو له رسم نساء أرسنقراطيات متعجرفات يلبسن قبعات مزركشة يزينها الريش الملون ويرتدين ثياباً حريرية ومخملية فاخرة وبديعة التصميم حسبما يليق بسيدات البلاط الملكي.

أعزم فاندايك بالموسيقى وكان العزف شبه متواصل أثناء عمله في مشغله، إذ كان يحلو للموسيقيين الحضور إلى مكان عمله ليعزفوا له ويرفحوا عنه.

ولم يكن يحب الموسيقى وحسب، بل أحب أيضاً الخيول والكلاب التي خلّدها – مع مشاهير عصره – في لوحاته الرائعة.

ومع أنه أنجز بعض الرسوم الدينية لكن تركيزه كان منصباً في المقام الأول على رسم الأشخاص فاعتُبر أشهر رسامي الأشخاص في العالم.

والدة فاندايك كانت تعمل في التطريز ويُعتقد أنه أخذ عنها أصول التناغم والإسجام بين الألوان والظلال. في صباه تتلمذ على الرسام المعروف هندريك فان بالن لكنه استقل في الرسم عند بلوغه سن السادسة عشرة.

في سن العشرين عمل مع أشهر رسامي أوروبا الشمالية بيتر بول روبنز وخلال فترة قصيرة كان يساعد روبنز في إنجاز لوحاته.

في عام ١٦٢٣ ذهب إلى إيطاليا لمتابعة دراسته وأمضى خمس سنوات في جنوا وفينيسيا وروما حيث رسم عدداً من اللوحات. وفي عام ١٨٢٦ عاد إلى مدينته أنتورب حيث رسم لوحته الشهيرة نشوة القديس أوغسطين. كما اكتسب شهرة واسعة في التفنن برسم الأشخاص وإبراز السمات الشخصية من خلاله رسومه.

في عام ١٦٣٢ استدعاه تشارلز الأول ملك بريطانيا ليصبح رسام البلاط. وبعد وصوله بقليل إلى لندن كافأه الملك بأن خصص له مرتباً شهرياً وخلع عليه لقب (فارس).

أثناء إقامته في بريطانيا رسم ما لا يقل عن ٣٠٠ لوحة لكل المشاهير تقريباً ممن اتصلوا بالبلاط الملكي. كما قام أيضاً برسم مجموعة من اللوحات المعبرة عن أحداث تاريخية وأسطورية.

خلال إحدى زيارته إلى هولندا رسم فرديناند اميراطور النمسا (جدير بالملاحظة أن الملوك والأشخاص البارزين الذين صورهم كانوا يجلسون أمامه لساعات طويلة وربما كانوا أيضاً يمتثلون لأوامره من حيث تعديل الأوضاع ورفع وخفض الهامات ونحوه!)

قبل سنة من وفاته انتقل إلى باريس على أمل الحصول هناك على إذن لزخرفة وتزيين جدران متحف اللوفر لكنه لم يحظ بمبنيته.

توفي فاندايك سنة ١٦٤١ ودفن في كاتدرائية القديس بولس في لندن.

أما لوحاته فتتميز باللمسات الدقيقة الرقيقة والإضافات المحسنة، إذ غالباً ما كان يستعمل الألوان الناعمة الخافتة. كما تتميز خطوط رسومه أيضاً بالبراعة والأناقة والإسجام الذي هو السمة المميزة لهذا الرسام العالمي الكبير.



**دانتي: هل استوحى ملهاته من رسالة الغفران؟**

في سنة ١٢٦٥ ومع بزوغ فجر النهضة إبان العصور الوسطى وُلد لأسرة متوسطة الحال في مدينة فلورنسا الإيطالية طفل أصبح فيما بعد أشهر شعراء إيطاليا وأحد ألمع شعراء العالم على مر العصور، إنه أليغيري دانتي مؤلف رائعة الأجيال: الكوميديا الإلهية.

وكما هي الحال بالنسبة لحياة كل العظماء فقد اقترنت طفولته المبكرة بهالات أسطورية، لكن وقائع حياته مدونة في كتابه (La Vita Nuova أو الحياة الجديدة).

في سن التاسعة التقى الفتاة بياتريس بورتيناري التي ألهمت أروع قصائده وألهمت نيران حبه فأحدثت تأثيراً دامت في مسار حياته. توفيت بياتريس بعد ثلاث سنوات من ذلك اللقاء عن عمر يناهز الرابعة والعشرين، لكن حبها حفر عميقاً في قلب دانتي فلم ينسها يوماً واحداً حتى بعد زواجه من جيما دوناتي. بعد موت بياتريس اعتكف دانتي وانكب على الدراسة المعمقة فنظم أرق وأعرق القصائد الوجدانية تكريماً لروحها وتخليداً لحبه لها. وقد جمع تلك الأشعار في ديوان (الحياة الجديدة) المذكور أعلاه.

أتقن دانتي اللغة اللاتينية ولعب دوراً بارزاً في الحياة السياسية والصراعات العسكرية التي كانت في ذروتها آنذاك بين حزب البابا وحزب الإمبراطور.. تلك الصراعات التي مزقت أوصال إيطاليا وعصفت بأمنها وسلامها.

وبفضل نجابته وحنكته السياسية بلغ مناصب عالية، إذ في عام ١٣٠١ تم انتدابه سفيراً عن فلورنسا لدى الصرح البابوي في روما.

وعندما انتصر حزب المتزمتين في فلورنسا على باقي الأحزاب فر قادة تلك الأحزاب ومن جملتهم دانتي، فحكم عليهم غيابياً بالحرق أحياناً فيما إذا تم القبض عليهم.

أمضى دانتي باقي أيام حياته في لوعة وحسرة بسبب عيشته المنغصة في المنفى. وقد قال في هذا الصدد: "لقد تنقلت في كل صقع من أصقاع إيطاليا شريداً طريداً، أحمل رغباً عني جروح النحس التي مزقت جسمي ولم تلتئم أبداً."

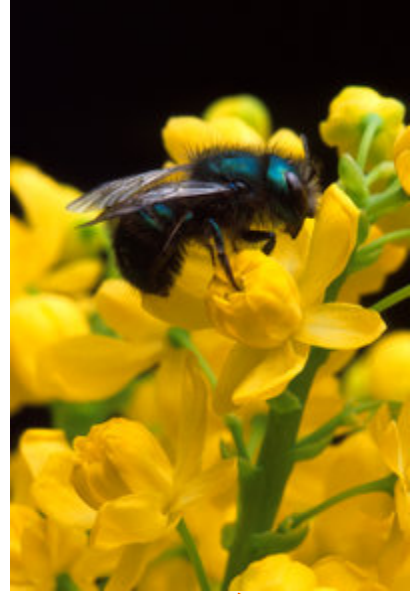
توفي دانتي سنة ١٣٢١ في مدينة إيطالية صغيرة تدعى رافينا قرب بحيرات الأدرياتكي الشاطئية عند مصب نهر بو.

كان دانتي صديقاً لجيوتو أحد أشهر رسامي فلورنسا الذي رسم دانتي قبل أن تحفر هموم الحياة ومرارة العيش أخاديد عميقة في محياه النبيل.

ومع كل معاناته فقد تمكن من إبداع أجمل التحف الأدبية في الدنيا وهي (الملهات الإلهية The Divine Comedy) التي احتفى بها وما زال أدباء وشعراء وعلماء العالم على مر العصور.

ويقال بأن خيطاً يربط بين تلك الملهات ورائعة شاعرنا العبقري أبي العلاء المعري (رسالة الغفران) بحيث اعتبر أحد الباحثين أن دانتي لا بد أنه اطلع على ترجمة لاتينية لرسالة الغفران فغرف منها ما شاء له لأن التشابه واضح بين أسلوبه وأسلوب المعري وهناك أيضاً أحداث تكاد تكون مشتركة بين الملهات الإلهية ورسالة الغفران.

تعتبر الملهة الإلهية من أعظم أعمال الغرب الأدبية. فهي تضاهي روائع شكسبير وتأتي بعد الكتاب المقدس مباشرة من حيث الأهمية. وقد تم نسخها ستمائة مرة قبل اختراع المطابع. كما أن هناك ثلاثمائة طبعة مختلفة لها ولها أكثر من ثلاثمائة ترجمة إلى اللغات الحية، بالإضافة إلى مقدمات ومقالات وتعليقات لا تعد ولا تحصى. لم يمض عشرون عاماً على وفاة دانتي حتى اعتبرته إيطاليا أعظم رجالها دون منازع على مدى تاريخها الطويل.



### دروس عملية من صانعات العسل

ربما تعلمون أصدقائي القراء أن ما تنتجه النحلة طوال حياتها لا يتجاوز ملعقة واحدة من العسل. وطبقاً لإحصائيات أحد المعاهد المتخصصة فإن جمع قرابة الكيلو غرامين من الرحيق يلزمه ثمانية آلاف نحلة، وأن ثمانية آلاف نحلة أخرى تمس لها الحاجة للتهوية بأجنحتها على ذلك الرحيق لتبخيره وتعديله بغية استخلاص نصف كيلو غرام من العسل.

أما النحل المتخصص في صنع الشمع فيلتهم ما بين ثلاثة إلى أربعة كيلو غرامات من العسل لإنتاج نصف كيلو من الشمع.

ولا عجب إذ أن تكون الوظيفة الوحيدة للملكة هي إنتاج البيض من أجل المحافظة على ذلك العدد الضخم من العاملات لإنتاج العسل ومشتقاته.

العناية باليرقات هو أمر في غاية الأهمية وموكل للنحل الفتى القوي. وفي حين لا يتجاوز عمر هذا النحل الصغير البضعة أيام فإنه مع ذلك يقوم بإطعام اليرقات الحديثة الفقس والعناية بها. وبما أن آلاف اليرقات تفقس يومياً، فلا بد من تجديد أعداد متزايدة من النحل الصغير للوفاء بمتطلبات اليرقات التي يلزمها كميات كبيرة من الغذاء كي تنمو بسرعة وتنضم إلى المربيات للإعتناء بغيرها.

الملكة الشابية والقوية تضع ما بين ٢٢٠٠ إلى ٢٣٠٠ بيضة يومياً قبيل أو خلال موسم صنع العسل. وبما أن نحلة العسل هي حشرة تعاونية فلا يمكنها العيش إلا بالعمل الجماعي الجاد ضمن واحدة من ثلاث فئات تولف خلقتها أو مجتمعها. وتلك الفئات الثلاث هي الملكة والعاملات والذكور.

أما العمل داخل الخلية (أو القرص) فهو في غاية الإتقان والفاعلية بحيث لا وجود لجهود مبتورة أو طاقات مهدورة. فكل نحلة عاملة تعرف بالضبط العمل المناط بها وتقوم به على أكمل وجه.

العمل الميداني خارج الخلية هو من اختصاص النحل الأكبر سناً الذي تنحصر مهمته في جمع غبار الطلع (أو اللقاح) و الرحيق والصمغ. هذه الفئحة من النحل تعمل بكل جد واجتهاد ودون كلل أو ملل لدرجة أن العديد منها يقضي منهوك القوى وممزق الجناح في محاولة أخيرة يانسة لإيصال آخر شحنة من رحيق الأزهار إلى البيت.

النحل الصغير الذي يقوم بتربية اليرقات لا يقصد الحقول إلا بعد أن يكون قد بلغ من العمر عشرة أيام إلى أسبوعين. وعلى أية حال فالواجبات الكثيرة داخل الخلية لا تقل أهمية عن جلب الرحيق من الحقول إليها.

العمل متواصل بالنسبة للنحل الصغير. فالخلايا بحاجة إلى تنظيفٍ وتلميع كي تضع الملكة البيض فيها. وهناك

نحل متخصص في جمع القمامة من فتات الشمع ونحوه ونقله إلى خارج الخلية أو القفير .

النحل الميت ينبغي أيضاً سحبه إلى منصة الدخول إلى الخلية ودفعه خارجاً . وهذا الإجراء في غاية الأهمية بالنسبة لصحة وسلامة النحل لأن النحل الميت إن ترك في موضعه يتسبب في إفراز الحشرات أو الطفيليات المؤذية وفي خلق الرطوبة داخل الخلية.

وهناك نحل دائم الحضور والإستعداد لخدمة الملكة. بعضه يقوم بالتهوية من خلال الضرب المتواصل والسريع لأجنحته. وهذا دور في غاية الأهمية للحفاظ على تهوية متواصلة وفعالة داخل الخلية بحيث تبقى درجة الحرارة الداخلية في الصيف ثابتة ومريحة.

كما أن هناك عدد لا بأس به من النحل يقوم بنقل الماء إلى الخلية لأن الماء عنصر حيوي في تغذية اليرقات التي يشتمل غذاؤها في الأساس على ما يعرف بخبز النحل المكوّن من غبار الطلع الممزوج بالعسل والماء. فعلى ما يبدو أن المواد الغنية بالنيتروجين الموجودة بوفرة في غبار الطلع لا غنى عنها في نمو اليرقات.

أما تحضير الملكات الصغيرات فيعتمد كلياً على إطعام فئة خاصة من اليرقات نوعاً من الطعام المعروف بالهلام الملكي. وعندما تقتضي الظروف داخل الخلية تنصيب ملكة جديدة تقوم المربيات باختيار يرقة واحدة من باقي اليرقات وتشرع في إطعامها تلك المادة الهلامية التي يتم استحداثها داخل جسم النحلة عن طريق الغدد اللعابية ومن ثم إخراجها عند الحاجة.

بناء الأقراص الشمعية لتخزين العسل يلزمه أسابيع من العمل وعدداً غير قليل من العاملات. وبعد الإنتهاء من بناء الأقراص تصرف تلك العاملات أياماً في سد الشقوق بحيث تكون كاتمة لا ينفذ الهواء منها حتى لا يتسرب ولو مقدار ضئيل من العسل خارج القرص.

وإذا نظرنا إلى خارج الخلية نرى الحراس الموكول إليهم مهمة حراسة المدخل للتصدي للنحل الغريب الذي ينوي السرقة ومنعه من الدخول إلى الخلية. بل وهناك أيضاً النحل الكشاف الذي يقوم باستشراق المعابر والممرات والتأكد من أنها آمنة مأمونة عندما يضطر النحل إلى الإنطلاق مرة واحدة في هجرة جماعية بحثاً عن مقر جديد.

كما تشتمل الواجبات المنزلية أيضاً على تخزين غبار الطلع ورصه جيداً وسد شقوق الخلية ومعالجتها بالمواد الصمغية لمنع دخول الهواء البارد إليها، إضافة إلى تنظيف خلايا القرص وصيانتها وترميمها، وإنضاج العسل وغيرها من الواجبات الأخرى.

وبضرب أجنحته أثناء النهار – وبصورة خاصة أثناء الليل – يقوم النحل بضخ منات أو ربما آلاف الأمتار المكعبة من الهواء داخل الخلية من أجل التبخير البطيء للماء الموجود في الرحيق وتحويله إلى عسل ثخين ومغذي.

ولولا هذه العملية لأدت الرطوبة الزائدة – التي تبلغ أحياناً نسبة الستين في المائة – إلى تخمر الرحيق المستجمع حديثاً وبالتالي إفساده. ولذلك فيتوجب على النحل تكثيف هذا السائل الفائض إلى أن لا تزيد نسبة الماء فيه إلى السكر عن ٢٠ بالمائة.

بعض الرطوبة الزائدة يتم التخلص منها بطرق ذكية أثناء ضرب النحل لأجنحته. ولكن لدفع الكمية المتبقية خارجاً يقوم النحل بتشكيل مجموعتين: إحداهما لطرد الهواء خارج الخلية والأخرى لسحب الهواء إلى الخلية. وهذا النوع من التهوية يمكن تشبيهه إلى حد ما بعمل أجهزة التجفيف أو نزع الرطوبة.

أما ما يقوم به عسل النحل من تلقيح للنبات والأشجار فهو أثمن بكثير من العسل بالنسبة لمربي النحل.

وهكذا نستنتج من دراستنا ومعاينتنا لهذا المجتمع النحلي العجيب أن حياة نحلة واحدة بمعزل عن باقي النحل هو أمر مستحيل. أما الحافز القوي الذي يتخلل مجموعة النحل فهو على ما يبدو ضمان استمرارية الكل بدلا من الفرد.

وهذا أيضاً ينطبق على تلك الشرارة المقدسة في داخلنا التي تستحثنا على الإيثار بدل الإستئثار وخدمة الناس بدل استغلالهم .

فطموحاتنا يجب أن تسمو على الأهداف الشخصية واقتناص الفرص دونما اعتبار لمصالح الناس ومشاعرهم.

وعملنا ينبغي أداؤه بروح الخدمة والواجب والمحبة دون التطلع إلى الإسم والشهرة والمنافع والمكافآت.

وكاننحل يجب أن نعمل دانيين بقلوب متحدة وطاقات متجددة وعزم راسخ وتصميم متواصل لخدمة مجتمعنا الذي يحتاج إلينا مثلما نحتاج إليه.

وبالرغم من كل العوائق التي قد تعترض سبيلنا وتحد من تقدمنا ينبغي مواصلة السير على دروب الحياة مهما بدت الطرقات عسيرة ووعرة، مكرسين جهودنا لخدمة الإنسانية على قدر استطاعتنا. فالمكافآت التي تحتفظ بها الحياة للعاملين لا تتمثل في الراحة والخمول بل بمنحهم قوى عديدة وطاقات جديدة لمواجهة تحديات أكبر وبلوغ مستويات أعمق رسوخاً وأكثر شموخاً.

والسلام عليكم

## لا يمكنه العيش معها ولا بدونها

هذه الأسطورة الهندية القديمة عن الكيفية التي خلقت بها المرأة تم ترجمتها من اللغات الأصلية وتحليلها وتفسيرها مرات عديدة، وقد ظهرت في مجلة Critic and Guide في عام ١٩٠٣ بهذه الصيغة تقريباً. وقد عمد المترجم هنا إلى حذف أو إعادة صياغة بعض الفقرات احتراماً للمرأة التي يعتبرها يداً مباركة وقلباً محباً لا يمكن لأي مجتمع سوي أي يقوم بدونها. والغرض من ترجمة هذه المقطوعة هو قصد التعريف بثقافات أخرى وتقريب وجهات النظر أو معرفة وجهة نظر الآخر على الأقل. مع الاحترام للسيدات الماجدات وللسادة الكرام الذين حسبنا سنرى في هذه القصة لا يستطيعون العيش بدونهن!

عندما بزغ فجر الزمان قام تواشترى إله البركان بخلق العالم. ولكن عندما أراد أن يخلق المرأة وجد لدهشته أنه استخدم كل المواد الصلبة المتوفرة لديه في خلق الرجل، ولم يبق لديه من عنصر مادي واحد يمكنه استخدامه في خلق المرأة. فوقع صاحبنا تواشترى في حيص بيص واعتراه ارتباك لا يحسد عليه فغاص في تأمل عميق لمعرفة ما ينبغي أن يفعله. وما أن استيقظ من سياحته التأملية حتى شرع بالعمل على النحو التالي: أخذ ضياء البدر وجماله ورشاقة الطير وخفته، و تمايل الأغصان والملمس الناعم لأوراق الورد، وخفة النسيم ورقته ونظرة الطيب وبهجة أشعة الشمس ودموع الندى وتقلبات الريح وخشية الأرنب وزهو الطاووس ونعومة الريش من صدر السنونو، وصلابة الألماس وحلاوة العسل ونكهة الأفاويه (التوابل) الطيبة، ودفء النار في الشتاء، ورعشة الثلج وتغريد الهزار وهديل الحمام!

فمزج كل هذه العناصر اللامادية وصنع منها المرأة وقدمها هدية بل تحفة لا نظير لها للرجل. فكاد الرجل يفقد عقله من شدة فرحه بها، لكنه بعد أسبوع عاد إلى تواشترى وقال له:

"يا سيدي هذه المخلوقة التي أعطيتها لي غريبة عجيبة، فقد غيرت حياتي بكيفية لم أكن أتوقعها إطلاقاً. فهي تتكلم دون توقف، فتستهلك بذلك كل وقتي، وتتن وتتن وتتأوه مع أنها ما شاء الله في أتم الصحة والعافية. فبالله عليك أن تستردها لأنني لا أستطيع بعد الآن العيش معها".

أخذها تواشترى منه، لكن بعد أسبوع عاد الرجل مهرولاً إلى تواشترى وراح يستعطفه قائلاً:

"يا سيدي، منذ أعدتُ المرأة إليك وأنا أشعر بالوحشة والوحدة. إذ لا زلت أذكر كيف كانت ترقص وتغني لي وتدللني وتسحرني بنظراتها التي كانت تصوبها نحوي من عينيها الكحيلتين، وكيف كانت تناغيني وتناديني بنعمة في منتهى العذوبة. فأرجو أن تتكرم بإعادتها إليّ على الفور!"

أعاد تواشترى المرأة له. ولكن بعد مضي ثلاثة أيام رجع حضرة جنابه مرة أخرى إلى تواشترى قائلاً:

"يا مولاي، بصراحة لا أعرف ما الذي يحصل بالضبط، وبت مقتنعاً بأن المرأة تسبب لي من الإزعاج أكثر مما تمنحني من الراحة. فأرجوك أن تعفيني منها".

لكن إله البركان تواشترى صاح به قائلاً: "إذهب وتدبر أمرك بنفسك "

فقال الرجل متوسلاً: "ولكن يا سيدي لا أستطيع العيش معها!"

فأجاب تواشترى: "ولا يمكنك العيش بدونها أيضاً!"

فمضى الرجل مشتت الفكر يهيمهم ويتمتم: "يا ويلتاه! لا يمكنني العيش معها ولا أستطيع العيش بدونها".

## التحرر من الخوف

للخوف مصدر وله مضاعفات خطيرة إما لحسن الحظ هناك طرق للتعامل معه وأساليب ناجعة لعلاجها. ولعلنا لا نبالغ إن قلنا أن فقدان المحبة هو علة كل الشرور وسبب كل المخاوف.

هناك شيان يمكننا القيام بهما للتعامل مع هروبنا من الواقع وصراعنا مع عقد أو مركبات النقص التي نحس بها في داخلنا.

أولاً نحتاج لأن نكون مخلصين كل الإخلاص مع أنفسنا بخصوص نقاط ضعفنا والمشاعر التي نتناوبا.

ثانياً تلزمنا الجرأة في تعاملنا سواء مع النجاح أو الفشل، فكلاهما وجهان لعملة واحدة ولا يمكن فصل أحدهما عن الآخر فصلاً تاماً.

ولتحقيق ذلك يلزمنا الجلوس بهدوء لساعة أو اثنتين وتدوين قائمتين، واحدة بإيجابياتنا والأخرى بسلبياتنا. كما ينبغي أن نعترف بسلبياتنا مثلما نعترف بإيجابياتنا.

بعد ذلك لنراجع قائمة السلبيات واحدة فواحدة، فنصرف ساعة في اليوم لأسبوع أو اثنين محاولين تحليلها وردها إلى مصدرها، سامحين للفكر بالرجوع إلى الوراء حتى يتمكن من استعادة الذكرى تلو الذكرى من ذكريات أو أحداث الطفولة غير العادية التي ساهمت في ترسيخ تلك الحادثة في العقل وبلورتها إلى طباع أو عادات ذهنية تسبب للفكر الكآبة أو الإرهاق.

إن تذكر حادثة واحدة من أحداث الطفولة يساعد أحياناً على فهم السبب من تواصل المشاعر المؤلمة والمزعجة على مدى سنين طويلة.

هناك شخص على سبيل المثال كان يشعر بالتوتر الشديد كلما اضطر للحديث أمام الناس. وبالرجوع إلى أحداث الماضي وجد أن تلك المشاعر كانت تتناوبا عندما كان طفلاً وكان المدرس يطلب منه إلقاء قصيدة أو قطعة أدبية عن ظهر قلب. وبالرغم من حفظه لها، فقد كان لا يتذكر ولو كلمة واحدة منها بفعل الإنفعال الشديد. كان التلاميذ يضحكون منه إذ ذاك فيعود إلى مقعده محبطاً مرحباً والخجل يكاد يخنقه.

وكان الصدى البعيد لذلك الخوف ما زال مجلجلاً في وعيه حتى في مرحلة الرجولة بحيث كان يتوجس خيفة من الظهور والحديث أمام الجمهور.

وهناك شخص آخر كان يستبد به الغضب كلما وقف عائق أمام تحقيق رغباته. ولدى التدقيق في هذه الظاهرة تبين أنه في مرحلة الطفولة كان يلجأ إلى الإبتزاز فيقيم الدنيا ولا يقدها حتى يحصل على ما يريد. ونوبات الغضب التي كان يختبرها كانت امتداداً لتلك الحالات التي كان يلجأ إليها أو يحس بها أثناء الطفولة. وما أن أدرك سبب غضبه حتى تمكن من التعامل معه بإيجابية عن طريق الهدوء وضبط النفس.

الحياة هي مغامرة روحية ولا يمكن لأحد فهم معناها الحقيقي باستثناء بعض الطامحين الجادين الذين هم دوماً على أهبة الإستعداد لوضع مصالحهم الذاتية جانباً مرضاة لله وخدمة للآخرين.

كل تجربة بشرية يمكن النظر إليها على أنها إما خطر وشيك الوقوع أو فرصة للتطور والنمو الذاتي.. ويمكن اعتبارها إما تحدياً ينبغي تفاديه أو مغامرة يجدر القيام بها بهمة ونشاط.

عندما ننظر إلى الحياة ليس بمنظار الأنا المحدود الرؤية بل بمنظار الله الذي لا حد لرؤيته..

وعندما ندرك أن شخصية الإنسان هي وسيلة للإعراب عن طاقات ليس بشرية وحسب بل إلهية أيضاً..

عندئذ نصح مستعدين لتجاوز مشاعرنا الضيقة والإنتلاق نحو آفاق أرحب لخدمة الحق والإنسانية ككل.

وإذ نستغل قوانا ونكرس طاقاتنا لتلك الغاية نعثر على الراحة الذاتية والسلام والطمأنينة.

وبالنتيجة نجد أن مخاوفنا البشرية ومركبات النقص ناجمة عن محاولتنا الحثيثة والدائمة لحماية أنفسنا من المخاطر والمعاناة والإذلال.

لكن الفوز في معركة الحياة لا يمكن في تجنب تلك المخاطر بل في مواجهتها والتغلب عليها الواحدة بعد الأخرى.

(وكل شجاعة في المرء تُغني  
ولا مثل الشجاعة في الحكيم.)

المصدر: معرفة الذات

### الملك العارف بالله الذي كان يدخن الأركيلة

في سالف الأزمان عاش في الهند حكيم عظيم يدعى بياصا مؤلف كتاب البهاغافاد غيتا أعظم أسفار الهندوس الروحية. وقد تمكن بفعل قواه الروحية العظيمة من استحضار روح سامية إلى رحم زوجته. ومع نمو الجنين في رحم أمه قام الوالد بتلقيح الطفل غير المولود أسرار المعرفة وجواهر الحكمة عن طريق الوعي الباطن لزوجته.

لدى ولادة الطفل سمي سوكديفا. وبفضل تدريب ورعاية والده الحكيم أثبت فعلاً أنه طفل غير عادي بكل المقاييس. ففي سن السابعة تمكن من حفظ كل كتب الفلسفة والحكمة عن ظهر قلب وأصبح مستعداً لنبد العالم بحثاً عن معلم عارف بالله لتحصيل المزيد.

في الهند يبحث المرشد المتعطر للحقيقة عن معلمين روحيين إلى أن يعثر على واحد يدرك في قرارة ذاته أنه المرشد المرسل له من الله لينقذه من ظلمة الجهل إلى نور المعرفة. عندما تكون الرغبة في المعارف الروحية في بداياتها يحصل الراغب على دروس روحية متقطعة من مصادر مختلفة. لكن عندما يتعاطم الشوق لله يبعث الله له معلماً روحياً راسخاً في العلوم الإلهية يكون بمثابة الوسيلة المقدسة للعودة بالمرشد الطامح إلى البيت الروحي.. إلى مملكة الله في باطن الإنسان.

عندما قرر سوكديفا الشروع في البحث عن مرشد روحي نصحه والده بالذهاب إلى الملك جنাকা حاكم المقاطعة. أخذ سوكديفا كتبه وتوجه إلى البلاط الملكي. وما أن دخل بوابة القصر حتى رأى الملك جالساً على عرش ذهبي مرصع بالياقوت والألماس تحيط به حاشية من النساء يهفهفن عليه بمراوح من سعف النخيل (حسبما كانت العادة في الهند القديمة في فصل الصيف القانظ).

كان الملك جنাকা آنذاك (منجياً) على عرشه يدخن الأركيلة الشرقية فصعق الطفل سوكديفا لذلك المنظر وقال في نفسه: "يا عيب الشوم على والدي لإرساله لي إلى هذا الملك الدنيوي حتى النخاع! فكيف لرجل مادي الميول والطباع كهذا أن يكون معلماً لي؟"

لكن الملك جنাকা كان ملكاً وقديساً في نفس الوقت. عاش في العالم لكنه لم يكن من العالم. وإذا كان متقدماً جداً في الروحيات، فقد أدرك عن طريق تخاطر الأفكار ما كان يدور في ذهن سوكديفا الذي ترك بلاطه وقصف عانداً من حيث أتى.

أرسل الملك - القديس رسولاً خلف الصبي يطلب منه العودة. ولدى عودته تقابل المعلم والتلميذ وجهاً لوجه فصرف الملك مساعديه وعلى الفور دخل في حديث شيق عميق عن الله وروائعه.

مرت أربع ساعات فراح سوكديفا يتململ وشعر بالجوع لكنه لم يشأ إزعاج الملك جنাকা الغارق في بحار الله والمنتشي بحبه.

وما أن انقضت ساعة أخرى حتى حضر رسولان يصيحان: "يا صاحب الجلالة، المدينة كلها تحترق، والنيران اللاهبة تقترب من القصر. فهل تكرمت بالإشراف على جهود إطفاء الحرائق؟"

أجاب الملك: "إنني منكم في التحدث إلى صديقي سوكديفا عن الله الرحيم الحامي كل المستجيرين به، الواثقين بعونه. ليس لدي متسعاً من الوقت لعمل شيء آخر. دعوني وشأني وأذهباً وساعداً الآخرين على إطفاء الحريق".

بعد مضي ساعة أخرى، عاد نفس الرسولين إلى الملك جنাকা وصاحا قائلين: "يا ملك الزمان نتوسل إليك كي تغادر على الفور. فقد حاقت النيران بالقصر واللهب يقترب سريعاً من حجرتك".

أجاب الملك: "لا بأس! لا تزعجاني فأنا ما زلت أعب الشراب الإلهي مع صديقي الكريم. أذهباً وأفعلاً ما بوسعكم".

دُهِس سوكديفا لموقف الملك، لكنه حاول أن يبقى محتفظاً بأعصابه، غير متأثر بما يدور حوله من هرج ومرج. وبعد فترة قصيرة حضر شخصان لسعتهما النار فوقاً أمام الملك وصاحا بأعلى الصوت: "أيها الملك

الجبار أنظر الذهب الحارق يقترب من عرشك! أهرب يا جلالة الملك قبل أن تلتهمك النيران".

فأجاب الملك: "أذهب حفاظاً على حياتكما، فأنا أشعر بالأمن والطمأنينة بين ذراعي الله الكلي الحماية ولست خائفاً من النار ولهببها المدمر".

هرب الرجلان بجديهما وراحت النار تقترب من كومة كتب سوكديفا التي كانت بجانبه، ومع ذلك ظل الملك محافظاً على هدونه غير أبه بكل ما يحدث.

هنا جزع سوكديفا وفقد هدوءه فنهض من مقعده وراح يضرب السنة الذهب بيديه في محاولة منه لحماية كتبه الثمينة. عندئذ ابتسم الملك جناكا وبإشارة من يده اختفت النيران فجأة كما لو لم تكن. فذهل سوكديفا لما رآه وغاص في مقعده وقد اعترته الدهشة والحيرة.

أخيراً قال الملك بهدوء: "يا أيها الفتى سوكديفا، عندما رأيتني ظننت أنني ملك غارق في الدنيويات، لكن أنظر إلى نفسي! لقد تخلت عن الله الكلي القدرة والحماية لكي تحمي كتبك في حين أنني لم ألق بالألممكتي وقصري المحترقين. لقد فعل الله هذه المعجزة لكي يريك أنه بالرغم من زهدك في الدنيا لكنك متعلق بكتبك أكثر من تعلقك بالله، وأكثر من تعلقي بمملكتي مع أنني أعيش في الدنيا بدل الخلوات والصوامع".

شعر سوكديفا بالخلج، وفي نفس الوقت أدرك أن هذا الملك القديس هو - ليس سواه - مرشده الروحي.

بعد ذلك طلب الملك جناكا من سوكديفا القيام باختبار دقيق ليعلمه فن العيش في العالم دون الوقوع في شركه والتقييد بقيوده. ففي ذات يوم أعطى الملك لسوكديفا كأسين طافحين بالزيت حتى الحافة وقال له: "ضع كأساً على كل كف وادخل كل حجرات القصر ذات الأثاث الفاخر وعد إلي بعد أن تكون قد شاهدت كل محتوياته. لكن تذكر أنني لن أقبلك تلميذاً لي إن سمحت لنقطة واحدة من الزيت بالسقوط على السجاد." وطلب الملك من اثنين من حراسه كي يرافقا سوكديفا.

ذلك الإمتحان كان عسيراً بالفعل، لكن بعد مضي ساعتين عاد سوكديفا منتصراً. فهو لم يدع نقطة واحدة من الزيت تنسكب من الكأسين الطافحين الموضوعين على كفيه الممدودتين.

فقال له الملك: "هات يا سوكديفا أخبرني عن تفاصيل كل حجرة من حجرات القصر". فأجاب سوكديفا: "أيها المعلم الملكي، لقد كان ذهني مستغرقاً كلية في الحيلولة دون انسكاب الزيت على السجاد ولذلك لم ألحظ شيئاً آخر في القصر".

فأجاب الملك: "لقد خبيت ظني يا سوكديفا! ولم تنجح فعلاً في امتحاني لك. لقد طلبت منك أن تعين كل شيء في حجرات القصر وفي نفس الوقت أن لا تدع نقطة واحدة من الزيت تنسكب من الكأسين. عد وحاول من جديد وتعال إلي عندما تنتهي وأخبرني بما رأيت".

بعد عشر ساعات عاد سوكديفا بهدوء. فهو لم يسمح للزيت بالانسكاب ولم يكن يتصبب عرقاً وإثارة كالمرة الأولى. وقد تمكن أيضاً من الإجابة على أسئلة الملك بخصوص محتويات القصر ووصف تفاصيل حجراته بدقة متناهية.

سر الملك جناكا لنجاح سوكديفا في الإمتحان وقال بصوت رقيق:

"يا بني، إن التعلق بالملكات، وليس الممتلكات نفسها هو منبع الشقاء. يا سوكديفا، في هذا العالم لا نملك شيئاً بل نعطي لنا الأشياء كي نستعملها أثناء إقامتنا الموقوتة على هذه الأرض. البعض لديه ما يستعمله أكثر من سواه، لكن تذكر أن المليونير والفقير سيتركان كل شيء عندما تحين ساعة الرحيل. لا ينبغي للإنسان أن يحيا حياة غير متوازنة كأن يفكر بالله فقط ويهمل واجباته في الدنيا، كحصر ذهنك بالزيت دون مشاهدة محتويات القصر. لكن في جولتك الثانية أبقيت انتباهك محصوراً بالدرجة الأولى بالزيت وفي نفس الوقت شاهدت كل شيء في القصر واستوعبت أدق تفاصيله. هكذا يجب أن تبقى فرك منهمكاً في الله فلا تسمح لزيت الحكمة بالانسكاب من كأس عقلك، وفي نفس الوقت يجب أن تكون ناشطاً في فعل الصواب وعمل الخير لمساعدة نفسك وأولئك الذين وضعهم الله في عهدتك".

المصدر: درر برمهنسية

**الرجل الذي رفض الذهاب إلى الجنة**

في قديم الزمان عاش زاهد متنسك على ضفاف نهر مبارك، وقد صرف سنوات طويلة من عمره في التأمل العميق لكن للأسف لم تكن جهوده مثمرة ولم يفرح بجني محصول وافر بالرغم من مجهوده في البحث والتفتيح عن أسرار الحياة ومنابع الغبطة.

ومع أن صاحبنا كان محاطاً طوال الوقت بجو سماوي من حيث المناظر الخلابة والنفوس الطيبة والكتب القيمة وحلقات الذكر المباركة، ظل عقله مع ذلك يفكر بأنسب الطرق لتشليح الناس وإحراق الأذية بهم.

ذلك التفكير كان خارجاً عن إرادته وعلى ما يبدو كان ناجماً عن أسباب كارمية موعلة في القدم. وكلما كان يحاول طرد تلك الأفكار غير المرحب بها كانت تقتحم عقله بقوة أكبر فتعكر سلامه وتحرمه راحة البال.

أخيراً وعد نفسه قانلاً: "سأواصل الدعاء والإبتهال ولن أتوقف حتى أتحرق من هذه الأفكار المقلقة التي تطعن خاصرة سلامي أثناء تأملي".

مرت ساعة، ثم ساعتان والأفكار الشريرة تتوارد على ذهنه كالإعصار فتضرب هيكل تأمله وتهزه هزاً عنيفاً.

أخيراً وبعد انقضاء ثلاث ساعات من المحاولة المضنية، تلاشت الأفكار المزعجة فجأة من عقله وبدلاً منها أبصر في رؤية جميلة ولياً من أولياء الله واقفاً بلحمه ودمه أمامه.

لم يبذُ الولي المتألق حياً وحسب بل نطق بعبارات غاية في الرقة قانلاً:

"يا بني، في تجسدك السابق كنت لصاً محترفاً لا هم لك سوى الإيقاع بالآخرين وسلبهم ممتلكاتهم. إنما قبل وفاتك بقليل استفاق ضميرك فعقدت العزم على التصليح وعاهدت نفسك على أنك ستغير مسلكك المشين وتتبع مسار الخير. لهذا السبب ولدت في هذه الحياة بتصميم روحي قوي لأن تكون إنساناً صالحاً ولكن مع ذلك جلبت معك أيضاً أفكاراً سيئة كانت محور حياتك في تجسدك السابق.

"ومن المؤسف يا بني أنك تعيش في هذه الأجواء المباركة وحوالك أصدقاء طيبون وحلقات ذكر وتأملات ومع كل ذلك تعيش في جحيم من القلق النفسي والأفكار المتلاطمة الهدامة".

بعد برهة من الصمت واصل الولي حديثه:

"الذالك فطبقاً للقانون الكوني، ولأنك لم تبذل قصارى جهدك للاستفادة من الفرص الروحية المتاحة لك في هذا التجسد فإنك ما لم تضاعف جهودك التأملية الآن سيتحتم عليك عند الموت أن تختار بين أمرين إثنين: إما العيش في الجنة مع عشرة حمقى أو العيش في الجحيم مع حكيم واحد، فأيهما تفضل؟"

فأجاب المرید دون تردد:

"يا ولي الله، أحبذ العيش في الجحيم مع حكيم واحد لأنني أعلم من تجربتي الذاتية أن عشرة حمقى يصنعون من النعيم جهنماً، في حين أؤمن في قرارة نفسي وأعلم علم اليقين أنني إن كنت مع حكيم واحد، حتى في قاع العالم السفلي سيساعدني على تحويل الجحيم إلى جنات النعيم".

المصدر: قطوف روحية



الجاموسة الناطقة

في بلاد الهند والسند، وعلى سفح جبل مظل على واد أخضر خصيب ترصعه الزهور الجميلة وتنفحه النسيم الرقيقة بالأريج الفواح كانت تقبع صومعة هادئة يشيع مرآها في النفس الطمأنينة والرضا.

هذه الصومعة كانت عبارة عن كهف حفرته عناصر الطبيعة في صخور الجبل وعاش فيه معلم مستنير مع مرید تواق ومشتاق لعلوم الروح.

وما أن كان الفجر يمسح الظلمة عن وجه التلال حتى كانت المنحدرات تشرق بابتسامات طوباوية تنعكس في أزاهير لا حصر لها من كل لون وشكل، فيستقبل المعلم وتلميذه شمس الصباح بترانيم توقظ وتهز عذوبتها

الجماد، إذ كان شروق الشمس يذكرهما بإشراقه شمس الحكمة والصحوة من إغفاءة الجهل التي طال عليها الزمن. وكانا يبتسمان مع الطبيعة بعد استغراقهما السعيد في سكينة الليل.

وبينما كانت أمواج الفجر لا تزال تغمر الوادي الهادئ كان المعلم يطلب من التلميذ الجلوس في وضع التأمل والإصغاء لتعاليمه في انتباه عميق. وكان التلميذ يتلقى ويتلقف علوم الروح كما لو كانت جواهر نادرة ودرراً ثمينة تتساقط من فم معلمه.

لكن ذات يوم لاحظ المعلم أن تلميذه الشاب كان شارداً ذهن مشتت الفكر، فسأله بلطف:

"يا بني يبدو لي اليوم أنك غير منتبه لكلماتي، فعقلك شارداً جوالاً بين الحقول في مكان آخر. فبالله عليك أن تخبرني عن سبب هذا الشرود".

فأجاب التلميذ بكل احترام:

"يا سيدي الكريم، لا يمكنني اليوم التركيز على محاضرتك، لأن عقلي رغباً عن إرادتي يفكر بالجاموسة التي حصلنا عليها مؤخراً وهي الآن ترعى النبت الأخضر على كتف الوادي".

وبدلاً من أن يوبخ المعلم التلميذ طلب منه أن يذهب إلى حجرة السكون ويغلق الباب عليه ولا يفكر بشيء سوى الجاموسة.

مر يوم، وفي صباح اليوم التالي نظر المعلم من النافذة الصغيرة في حجرة السكون فرأى تلميذه ما زال متأملاً على الجاموسة. فسأله: "ماذا تفعل الآن يا بني؟"

أجاب التلميذ: "إنني أرعى مع الجاموسة في الحقل يا سيدي. فهل تريدني أن أخرج وأتي إليك؟"

أجاب المعلم: "لا يا بني، لم يحن الوقت بعد. تابع الرعي مع جاموستك".

مر يوم آخر، وفي صباح اليوم الثالث نظر المعلم ثانية من نافذة حجرة السكون وسأل تلميذه: "أي بني، ما الذي تفعله؟"

أجاب التلميذ مغتبطاً: "يا سيدي الملائكي، إنني أبصر الجاموسة في غرفتي وإنني أطعمها بيدي. فهل تريدني أن أتي إليك مع الجاموسة؟"

أجاب المعلم: "ليس الآن يا بني، استمر في رؤيتك للجاموسة وإطعامك لها".

مر يومان آخران في التأمل وتصوّر الجاموسة، وفي اليوم الخامس نظر المعلم عبر نافذة حجرة السكون فرأى التلميذ في نشوة غامرة، فسأله: "يا بني بالله قل لي ما الذي تفعله الآن؟"

فجأ التلميذ مقلداً صوت الجاموسة وقال: "ما الذي تقصده؟ أنا لست ابنك؟ أنا جاموسة".

وهنا ابتسم المعلم وقال: "كفى يا حضرة الجاموسة، وقد آن لك أن تخرج من حجرة السكون".

لكن التلميذ لم يشأ الخروج، بل دمدم مزمجرأً: "كيف يمكنني الخروج من ذلك الباب الضيق وجسمي ضخم كما تراه".

عندها دخل المعلم إلى حجرة السكون وأعاد "الجاموسة" من حالة الإخطف إلى الوعي العادي. وقد دهش التلميذ وابتسم عندما رأى نفسه يدب على يديه ورجليه محاولاً تقليد الجاموسة هدف وغاية تأمله.

وبعد وجبة طعام خفيفة ذهب التلميذ للإصغاء إلى كلمات معلمه الذي سأله عن العديد من الأسئلة الروحية العميقة فأجاب عليها كلها بدقة تامة لم تتوفر فيه من قبل.

أخيراً قال المعلم: "أحسن يا بني وأهنتك من كل قلبي على ما بلغت من تركيز عقلي تام. إذ أصبح بمقدورك ضبط أفكارك والتوحد الكلي مع هدف تأملك، وذلك هو النجاح الأكبر".



## نجوم الليل

تلك النيرات التي خلدها فريد الأطرش بإحدى أغانيه أو خلدته بسهرها المتواصل ووميضها الدائم وصمتها الأبدى في الأمسيات الهادئة والليالي الصافية.

وبالرجوع عشرات السنين إلى الوراء.. والعودة بالفكر والقلب إلى الجبل الأشم تبرز من جديد أطياف تلك التجربة الذاتية الفريدة مع تلك النجوم الساحرة البعيدة.

لم تكن القرية آنذاك متصلة بشبكة الكهرباء التي ساعد غيابها في الليل على إبراز تلك الجواهر العلوية التي كنا نعتبرها جزءاً من حياتنا وثقافتنا الطبيعية ونبصر فيها أحياناً كنوزاً سماوية مشعشة ومتحدثة بصمت رهيب ولكن محبب إلى القلب والنفس.

في ليالي الصيف الدافئة كنا ننام إما على المصطبة أو على سطح البيت. وكانت تلك المشاهدات الليلية من أبلغ وأعق تجارب الحياة. إذ كانت النفس تتوحد بصورة عفوية مع النجوم فنرنو إليها بذهول ومنتقل من نجمة إلى أخرى أو من مجموعة نجمية إلى سواها، ونمعن تحديقاً في الشريا ذات السبع نجوم والوميض الخافت، وكذلك في ما كان نعرفه آنذاك بالميزاين وبنات نعش، وهي نجوم متعامدة ومتقاطعة وغيرها من الأشكال أو التشكيلات البديعة المعروفة فلكياً برأس الغول والنسر الطائر والنسر الواقع ومنكب الجوزاء والكف الخضيب والشعري اليمانية وفم الحوت والرجل الجبار.. وغيرها.

أما مجرة درب التبانة التي كنا ندعوها آنذاك (التبانية) فكانت مشهداً لا نظير له في السماء والأرض. إذ كنا نبصر الآلاف المولفة من النجوم البعيدة التي لا يحصرها العد، ويا لها من ظاهرة عجيبة تتحدى عقل الإنسان وتوسع حدوده إلى أقطار الأبدية. وما كان يزيد في روعة المنظر سكون الليل الشامل. ويا له من منظر ارتسم في الذاكرة وأصبح غير قابل للمحو.

وهذه المشاهد السماوية كانت تتكرر أثناء النوم في الكروم وعند السروات الباكورة، إذ كنا نتسامر أثناء السير قبل طلوع الفجر ونجوم الليل تتواضع، تتراقص، وأحياناً كانت الشهب والنيازك تهوي بسرعة فائقة فتشد أبصارنا إليها فنستمتع للحظات بمرآها البديع.

فسبحان الخالق الأعظم الذي أطلق من عقله الكلي هذه الظواهر التي لا قدرة للعقل البشري إلا على تأملها وإبداء الدهشة حيالها. وهذه النجوم الخالدة هي صلة الوصل بين الماضي السحيق والحاضر. فجميع عظمة البشرية من أنبياء ورسول وحكماء وعلماء وقادة وأبطال ومشاهير على مر العصور.. وكل من عاش على هذا الكوكب الأرضي شاهدوا نفس تلك النجوم التي ربما أمحي بعضها من صفحة الوجود منذ ملايين السنين وما نراه هو نورها الذي ما زال منطلقاً بسرعة الضوء في أجواز الفضاء.

تلك النجوم كانت توحى بالمحبة والدفء والطمأنينة، وكأنها كانت تبعد النفس عن الدنيا ومشاغلها وهمومها وتظهرها بألق سديمي من كل منغصات الحياة.

كما كانت توحى بوجود حقائق حية في عوالم بعيدة يمكن للإنسان أن يرتادها بخياله المجنح. وكانت أيضاً بمثابة مهرجان كوني ذي مشاهد لا تحصى يستمتع بها العقل إلى حين يدب النعاس في الجفون ويستولي الكرى على العيون فننتقل النفس من هذا العالم ربما إلى عالم آخر أكثر نجوماً وأقل هموماً!

ولا ننسى أن الظلام يمكن أن يكون مباركاً عندما يوفر تلك الخلفية الضرورية لإبراز الفن الإلهي في السماء المرصعة بالنجوم الأمامية التي لا تكف عن الوميض، وكأنها تتحدث صمماً لكل من يهواها ويسره مرآها وتغمزه الغمزة تلو الأخرى من عيونها البراقة.

أما هدوء الليل فيوحي بالقدرة الكلية. فمن أعماق الفضاء اللانهائي تبرز تلك المشاهد من مجالي الأبدية، وما من صوت يُسمع سوى صوت السكون ويا له من صوت تسمعه الأذن الباطنية بجلاء ودون عناء.

فما أعذب ساعة السكينة التي تبعد أشباح الهموم وتدني النفس المتأملّة من عالمها الروحاني حيث السلام والأمن والفرح والعزاء والرجاء والإيمان بحكمة الله ومحبته وبأن الأمور تحدث طبقاً لخطة إلهية مدبرة، وأن لا عشوائية في الكون بل أن النظام الإلهي هو الغالب في نهاية المطاف ولا بد للإنسان أن يتعاون معه لأنه منبثق عن إرادة كونية حكيمة وعليمة بمصير الكون ومصائر البشر.

فتحية لنجوم الليل التي ربما هي انعكاس لما في وعي الإنسان من شمس وأقمار ومجرات ومسرات في انتظار من يكتشفها ويغتبط بروعتها ومحاسنها.

## صفحة من تاريخ فينيقيا

كانت فينيقيا أول قوة تجارية في العالم القديم ومن أقدم الأمم المتحضرة. وباستثناء كونها جزءاً من أرض كنعان لا أحد يعرف بالتحديد متى تكونت حضارتها، إنما في العام 1500 قبل الميلاد كان لها تاريخ عريق ضارب في القدم، وكانت مدنها آنذاك كبيرة ومزدهرة.

قامت فينيقيا على الساحل الشرقي للبحر المتوسط وكانت حدودها تمتد لحوالي الثلاثمائة كيلومتر من الشمال إلى الجنوب. كانت تحدها من الشرق جبال لبنان مصدر الأرز الثمين إنما ليس هناك من معلومات دقيقة عن حدودها الفعلية. لكن تأثيرها فاق تأثير أية قوة أخرى معاصرة لها آنذاك.

من المؤكد أن الفينيقيين كانوا ذوي أصول سامية وقد تمكنوا من أن يصبحوا قوة بحرية عظيمة في العالم القديم. فبضائعهم كانت تنقل بالبحر من وإلى أقصى أركان المعمورة المعروفة آنذاك. وكانت سفنهم تتجه إلى أي ميناء من موانئ المتوسط. وقد عبرت مضيق جبل طارق وأبحرت شمالاً إلى أن وصلت مناجم كورنول البريطانية وعادت محملة بالصفوح.

يقال أن هناك أسطورة مفادها أن بحارة الشعوب القديمة وضعوا يافطة عند مضيق جبل طارق كتب عليها باللاتينية ما معناه (لا توجد أرض وراء هذه النقطة)، خوفاً من تعرض البحارة للوحوش الساكنة في أعماق البحر والتي كانت تصعد إلى السطح بين الحين والآخر لاصطياد ما تيسر من أقوات.

لكن الفينيقيين قاموا بمحو كلمة (لا) من تلك العبارة وأثبتوا أن هناك مجالات للإتجار ما وراء البحار.

لم يكن الفينيقيون يتمتعون بامتيازات طبيعية. فبلدهم كان عبارة عن شريط ضيق تكتنفه الجبال والرمال ويمتد على طول ساحل بحري مما اضطرهم للتوجه إلى البحر وتحدي المجهول.

لم يكونوا شعباً مقاتلاً إنما بنوا أسطولاً قوياً لحماية تجارتهم. سفنهم كانت تنقل الصفوح من بريطانيا، والمر واللبان والعمود والذهب واللؤلؤ من بلاد العرب، والفضة من أسبانيا، والعبود والعاج والجلود من أفريقيا، والأقمشة القطنية من مصر والنحاس من قبرص وصبغة الأرجوان من طرطوس.

وقد عرفوا أيضاً بإدخال التحسينات على حروف الهجاء، وكانوا مهرة في فن العمارة وسكب المعادن والتعدين، وكذلك في صباغة الثياب وتلوين الزجاج.

استعمر الفينيقيون قبرص والساحل الجنوبي الشرقي لآسيا الصغرى وكذلك جنوب أسبانيا وصقلية وسردينيا والساحل الشمالي لأفريقيا. فتاجروا مع هذه المستعمرات وأصبحوا ناقلتي البضائع من وإلى جميع موانئ العالم القديم.

وإذ حصروا نشاطهم في التجارة فقد ازدهروا، لكن الثراء الذي أحرزوه خلق فيهم الرغبة في الكماليات التي خلقت بدورها فيهم التهاون والخمول اللذين لعبا دوراً في ضعف فينيقيا وبالتالي القضاء عليها كقوة عظمى.

وكالآشوريين كان الفينيقيون يعبدون آلهة أو بالأحرى كائنات بشرية رفعوها إلى مصاف الآلهة. فعشروت وآلهة القمر كانت أيضاً آلهة الحب. أما بعل إله الشمس فكانوا يظنون أنه يبتهج بالتضحيات البشرية، ولذلك كانوا يضحون له الإبن البكر في أوقات الضيق والملمات.

لم يكن هناك من بعل واحد، إذ كان لكل مدينة بعلها أو إلهها المعبود الذي كان متكفلاً بخصوبة التربة (وربما من هنا عبارة على بعل، أي دون ري) ومتكفلاً أيضاً بحماية ورفاه المدينة.

عشثروت كانت بمثابة ومنزلة أفروديت وفينوس. وكانت عبادتها تقترن بطقوس تتميز بالعريفة والمجون وأحياناً بحرق الأطفال الرضع تقرباً منها وإرضاء لها.



## ضفدعان في خطر

ذات مرة كان ضفدع كبير مترهل وضفدع صغير مليء بالنشاط والحيوية يسعيان في مناكبة عندما قادهما حظهما العائر للسقوط – بنطة غير موفقة – في سطل من الحليب الطازج.

سبحا لساعات طويلة في ذلك السائل الأبيض على أمل الخلاص من تلك المحنة القاسية، لكن حواف السطل كانت عميقة وزلقة، وقد تراءى لهما شبح الموت فاتتابتهما مشاعر الرهبة وواصلت السباحة.

وما أن شعر الضفدع الكبير بالإنهاك حتى فقد شجاعته وخارت عزيمته. ولم يبذل له من بارقة أمل في النجاة. فقال لصديقه الصغير:

"لماذا نحاول معاكسة القدر وبذل المجهود دون طائل؟ لا يمكنني يا صاحبي مواصلة السباحة".

لكن الضفدع الصغير الذي كان يسبح بهمة مستميتة وسط الحليب قال لرفيقه: "تابع المجهود وإياك أن توقف المحاولة، فمن يساعد نفسه يأتيه العون من حيث يدري ولا يدري".

واصلت السباحة لبعض الوقت لكن الضفدع الكبير قرر أخيراً أن لا فائدة ترجى من كل تلك الجهود، فقال بشهقة أخيرة: "يا أخي الصغير، فلنستسلم لقدرنا وها أنا قد قررت بالفعل التوقف عن السباحة، فالوداع".

وما أن كف عن المحاولة حتى غاص إلى أرض السطل وتلك كانت النهاية بالنسبة له.

بقي الضفدع الصغير يصارع الحليب والقدر الرهيب بمفرده. وفكر بينه وبين نفسه:

"إن التوقف عن بذل المجهود يعني الموت، ولذلك سأواصل السباحة حتى يبسر لي الله مخرجاً".

مرت ساعتان وكاد الإعياء المضني يشل ساقي صديقنا الصغير وبدا له أنه قد فقد القدرة على الحركة ولو لدقيقة أخرى.

ولكن عندما فكر بصديقه المرحوم قال لنفسه:

"الكف عن المحاولة يعني أن أكون وجبة طعام على مائدة أحدهم، وهذا ما لا أرضاه لنفسي. ولذلك سأواصل الخوض في هذا السائل اللبني حتى تأتي ساعتني فيما إذا كانت تلك الساعة آتية لا محالة. لكنني لن أوقف المحاولة إطلاقاً. فما دامت الحياة دام الأمل ولذلك لن أستسلم".

كان منتشياً بالتصميم القاطع فواصل السباحة بعزم لا يعرف الخذلان، وراح يجوب السطل المرة تلو الأخرى ضارباً الحليب بأطرافه النحيلة ومكوناً منه أمواجاً تعلوها رغوة شديدة البياض.

بعد فترة شعر بأن جسمه قد تخدر تماماً وأنه على وشك الغرق. لكن في تلك اللحظة بالذات شعر بشيء صلب تحته. ولفرط دهشته وجد نفسه يقف على كتلة من الزبدة خضها ومخضها بفعل حركته الدائبة ومجهوده المتواصل!

وبقفزة واحدة تمكن صديقنا الضفدع الجدع من الخروج من سطل الحليب إلى الفضاء الرحيب. وسلامتكم!



## أشعة الشمس: منافعها وأضرارها

تشتمل أشعة الشمس على طاقة شفاء قوية مثلما تشتمل أيضاً على أضرار خطيرة ولذلك ينبغي مراعاة الحيلة والحذر. وبالرغم من وجود عناصر ضارة في أشعة الشمس فلا ينبغي تجنبها كلية. الخبراء متفقون على أن سرطان الجلد لا يسببه التعرض لأشعة الشمس بل التعرض الزائد عن الحد لتلك الأشعة.

منذ العصور القديمة أشاد اليوغيون بمنافع الحمامات الشمسية نظراً للنتائج المنعشة والخواص الشافية لأشعة الشمس. وفي هذا الصدد يقول المعلم برمهتسا يوغانندا:

"أن في أشعة الشمس قوة شفاء عجيبة، وأن على الشخص أن يأخذ حماماً شمسياً لعشر دقائق كل يوم. فعشر دقائق في اليوم أفضل من تعريض الجسم للشمس لفترة طويلة بين الفينة والأخرى. فحمام شمسي قصير على أساس يومي، إضافة إلى عادات العيش الصحي تساعد على بقاء الجسم مزوداً بما يكفي من قوة الحياة للقضاء على كل الميكروبات الضارة".

إن ما يشفي هو ليس الشمس نفسها بل الكمية الهائلة من طاقة الحياة الكونية الموجودة في أشعة الشمس. ولهذا السبب يركز اليوغيون فكرهم على امتصاص قوة الحياة هذه أثناء تعريض الجسم لأشعة الشمس.

خبراء الصحة أكدوا ويؤكدون على المنافع الكثيرة والخواص العلاجية التي يمكن الحصول عليها من نور الشمس. وقد أثبت الأطباء أن تفاعل نور الشمس مع جزيئات الستيرول الموجودة في الجلد تساعد على تعزيز وظيفة بعض الفيتامينات الضرورية في البنية السليمة للعظام والأسنان. وعندما تمتص خلايا الجسم أشعة الشمس يحصل الجسم على فوائد جمة جراء ذلك. فأشعة الشمس ضرورية للصحة الجيدة، إذ تساعد على الاحتفاظ بحالات مثالية داخل الجسم، وتقوم بتسريع الشفاء من الإصابات والمرض، ويمكن استخدامها كإجراء وقائي لدرء الأمراض المعدية من خلال تعزيز المناعة ضد الأمراض الشائعة. كما تساعد أيضاً على تحسين الصحة النفسية.

ومع ذلك فكل شيء يزيد عن حده ينقلب إلى ضده. ولذلك ينبغي اتخاذ التدابير الاحتياطية أثناء التعامل مع أشعة الشمس القوية ومعرفة الأضرار المحتملة التي يمكن أن تحصل بفعل التعرض الزائد للجسم لتلك الأشعة. من تلك الأضرار جفاف البشرة، التغيرات الجلدية، التوزيع غير المنتظم لصبغة أو خضاب الجلد، والأكى من كل هذا وذلك سرطان الجلد.

في السنين الأخيرة ازداد عدد المصابين بهذا المرض، بل أصبح من أكثر أنواع السرطان شيوعاً فطبقاً للإحصائيات الطبية يصاب ما لا يقل عن نصف مليون شخص بسرطان الجلد سنوياً في الولايات المتحدة. هذه الحالات تصيب أكثر ما تصيب ذوي البشرة البيضاء ممن ينتقلون إلى الجزء الجنوبي من الولايات المتحدة قصد السكن والتمتع بأشعة الشمس الوفيرة. هؤلاء الأشخاص هم أكثر عرضة من سواهم للإصابة بسرطان الجلد نظراً لعدم احتواء بشرتهم على عناصر واقية من حرارة الشمس. السود بصورة عامة هم أقل عرضة لسرطان الجلد الناجم عن أشعة الشمس لأنهم مهينون لتحمل تلك الأشعة (كون أصولهم تعود إلى بلدان أفريقية قريبة من خط الإستواء).

ويقول العلماء أن عاملاً آخر يساعد على الإصابات المتزايدة بسرطان الجلد هو تآكل طبقة الأوزون الواقية للأرض. تلك الطبقة تمتص الإشعاعات ما فوق البنفسجية الضارة. وقد أثبتت البحوث أنه منذ نهاية ستينيات القرن الماضي وطبقة الأوزون أخذت في النفاذ من أجواء الولايات المتحدة نظراً لإطلاق كميات هائلة من المواد الكيماوية في الجو. ونظراً لتضاؤل فعالية الأوزون فإن كمية كبيرة من الأشعة فوق البنفسجية الضارة تصل إلى الأرض بصورة متزايدة. ويؤكد العلماء أن النقص بمعدل ١% من طبقة الأوزون يقابلها زيادة بمعدل ٦% من حالات سرطان الجلد.

هذه الإحصائيات حدثت ببعض الأخصائيين للتنبيه إلى ضرورة تلافي أشعة الشمس كلية. ومع أن هذا قد ينطبق على بعض الحالات، وينبغي العمل بنصيحة الطبيب، لكن ينصح خبراء الصحة بعدم الخوف من الشمس وعدم تجنبها بالمرّة بحيث يحرم الإنسان نفسه من مظاهرها النافعة. ما ينبغي عمله هو الأخذ بالاعتبار المخاطر المحتملة لأشعة الشمس واتخاذ الاحتياطات اللازمة إزاءها.

كما ينصح الأخصائيون بلبس الثياب السميكة أثناء تعريض الجسم لأشعة الشمس لفترة طويلة، بما في ذلك لبس القبعات ذات الحواف العريضة والقمصان ذات الأكمام والبناطيل أو الفساتين الطويلة. كذلك استعمال المواد الواقية gels التي تمتص وتعكس أشعة الشمس الضارة. كما ينبغي عدم تعريض الجسم لأشعة الشمس المباشرة ما بين العاشرة صباحاً والثالثة بعد الظهر. ويُصح بترتيب النشاطات الترفيهية في الهواء الطلق في الصباح الباكر أو عند العصر. وليس آخراً استشارة الطبيب أو أخصائي الجلد بهذا الخصوص.

المصدر: معرفة الذات

## قلب يشتهي ومتاعب لا تنتهي

في إحدى البلدان عاش شخص طبيب القلب محب للغير وللخير إسمه وحيد. كان ميسور الحال ويعتبر نفسه من المحظوظين في الحياة. فقد أنعم الله عليه بكل ما يشتهي قلبه، لكنه كان مع ذلك يعاني من عسر الهضم. وقد زار واستشار العديد من الأطباء وصرف أموالاً طائلة على العلاج والأدوية لكن دون فائدة تذكر. فعرس الهضم المزمن لازمه طيلة أيام حياته.

في سن السبعين، عندما حضرته المنية بفعل نوبة حادة من عسر الهضم، ابتهل وحيد لله في قلبه قائلاً: "يا رب، إن قدر لي أو أولد ثانية فساكون سعيداً في تجسدي القادم فيما لو أنعمت عليّ بجسم قوي معافى ومتحرر من عسر الهضم. عندئذ لن يكون للغنى أو للفقر أي اعتبار بالنسبة لي ما دمت أتمتع بالصحة والقوة البدنية".

ظهر ملاك الرب لوحيد في رؤية عند احتضاره وهمس له قائلاً: "لقد سمع الرب الرحيم دعائك وسيحقق أمنيتك في تجسدك القادم".

عندما عاد وحيد إلى التجسد، وُلد في أسرة معدمة. فمُنذ طفولته كان جسده قوياً كجسد شمشون، لكن الموت المبكر لوالديه زاد من فقره ويؤسه. فكل ما ورثه صديقتنا من والديه كان جسماً قوياً مع جوع قارص وقارض. فهو لم يمتلك ما يكفي من المال لشراء ما يكفي من الطعام لتسكين جوعه المزمن النهاش. مع ذلك كان يحمد الله على الصحة وفي نفس الوقت كان أحياناً يناجي ربه في سره قائلاً: "يا رب، أحمدك من كل قلبي على هذا الجسد الخالي من الأمراض الذي أنعمت به عليّ بالرغم من ضيق ذات اليد. يكفي أنني بصحة جيدة وهذا هو المهم".

مرت الأيام والأعوام وصاحبنا وحيد مطرّك يا واقف من حيث الموارد المادية. فهو لم ينجح في أعماله ولم يتمكن من كسب ما يكفي من المال لإعالة جسمه القوي الكبير.

أخيراً وعندما أشرف فصل حياته الختامي على الإنتهاء، صلى لله قائلاً: "يا عظيم الرجاء، لم تنقضي العضلات في تجسدي هذا. لكن يا رب ما قيمة العضل بدون المال لإبقاء الجسم قوياً؟ يا رب، إن عدت ثانية إلى التجسد، فأسألك أن تجود عليّ بالمال إضافة إلى الصحة وسأكون من السعداء".

ظهر ملاك الرب ثانية وحقق أمنية وحيد. إذ في تجسده الثالث وُلد ثرياً معافى وقوي الجسم. وعلى توالي السنين كان يهنئ نفسه قائلاً: "لقد أنعم الله عليّ فأنا سعيد لأن لدي كل ما أحتاجه في هذه الحياة".

لكن بعد ذلك راح يحدث نفسه قائلاً: "ما قيمة المال والصحة بدون شريكة حياة أستأنس بها وأسعد بصحبتها؟!".

وبعد عمر مديد، وعندما وافته المنية شعر أنه سيفارق الحياة مكسور الخاطر، فابتهل لله من جديد قائلاً: "يا سميع الدعاء، إن قدر لي العودة مجدداً إلى الحياة لا تجعل حياتي موحشة يا رب، بل إضافة إلى الصحة والثروة أنعم عليّ بزوجة من واسع فضلك".

وكالمعتاد ظهر ملاك الرب وحقق أمنية ذلك الرجل الطيب، إذ في تجسده الرابع وُلد غنياً ومعافى وفي الوقت المناسب تزوج امرأة جميلة لكنها كانت غيورة، نقيّة، مَلّحة ومحببة للتملك نغصت على وحيدنا المسكين حياته فعاش أسيراً لها، طوع بناتها ورهن إشارتها.

وما أن حل شتاء حياته حتى كانت طباع زوجته الشرسة قد دهكته وأنهكته وعوّفته حياته. وبينما كان يلفظ أنفاسه الأخيرة ابتهل قائلاً: "يا رب، في حياتي القادمة لا أسألك بالإضافة إلى البحبوحة والصحة سوى زوجة

صالحة".

من جديد ظهر ملاك الرب لوحد وحقق أمنية قلبه. ففي تجسده الخامس وُلد معافى وثرى وأخيراً تزوج امرأة طيبة، مخلصه، وفيه ورضية لم تعاكسه أو تشاكسه إطلاقاً، بل كانت توافقه على كل شيء، ولا تقطع خيطاً دون مشاورته. لكن وللأسف، وبعد سنتين من الزواج وفي أوج السعادة الزوجية توفيت زوجته الطيبة فطنى عليه الحزن وأمضى حياته كالراهب المتنكس، يعبد قفازات زوجته الغالية وأحذيتها وأغراض أخرى كانت لها.

أخيراً وبعد عمر طويل وافت المنية صديقنا الوحيد فصلى الله من أعماق قلبه قائلاً: "يا رب يا كريم يا ذا الفضل العقيم، إن كان لا بد لي من العودة ثانية إلى الحياة فهب لي إضافة إلى الصحة والثروة زوجة طيبة تعيش حياة مديدة".

كالمعتاد ظهر ملاك الرب لوحد في الرؤية وقال له: "إبشر واستبشر، فدعواك سيستجاب!"

في تجسده السادس لم يكن وحيد ثريا ومعافى وحسب، بل كان عنده أيضاً شريكة حياة مديدة العمر بحيث احتفلا باليوبيل الفضي لزوجهما السعيد. وذات يوم توفي سكرتير وحيد فقرّر أن يوظف سكرتيرة شابة في عمر الزهور لتسيير الأمور.

باختصار افتتن وحيد بموظفته الجديدة التي سلبته ليه وطير جمالها عقله فقال بينه وبين نفسه: "يجب أن لا تعلم زوجتي الطيبة بذلك. فأنا أحب زوجتي من كل قلبي ومستحيل أن أطلقها. لكن يا حسرتي تقدم بها العمر وراحت تفقد جمالها الذي لا يقاس بحسن الوجه النضير لسكرتيرتي الصبية الذي يشبه الورد الغضة الندية".

أخيراً طغى الهوى على عقله فطلق زوجته كي يتزوج سكرتيرته الشابة التي عاشت معه حتى أخذت كل أمواله ومن ثم تركته وذهبت مع شخص آخر أكثر شباباً ووسامة من وحيد".

غني عن القول أن قلب وحيدنا انسحق فصلى من أعماق روحه الله كي يظهر له في رؤية.

استجاب سبحانه لطلبه وظهر له بكامل مجده وبهائه تحيط به هالات من النور الذهبي الواج وقال له:

"يا وحيد، في نهاية تجسدك الأول حيث وجدت سبيلك إليّ من خلال الدعاء والإبتهاال طلبت مني كي أشفيك من عسر الهضم. سمعت دعاءك وفي تجسدك التالي أعطيتك جسداً قويا لكن بدون الصحة التي استمتعت بها في حياتك السابقة. بعد ذلك بقليل سئمت الصحة بدون المال الضروري لشراء ما يكفي من الغذاء. ولذلك وهبتك في تجسدك التالي الصحة والثراء. بعدها شعرت بالوحشة فابتهلت من أجل زوجة تقاسمك العيش.

"في تجسدك الرابع وُلدت معافى وثرى وتزوجت امرأة نغصت عليك حياتك بطلباتها المتواصلة وطباعها الشرسة، ولذلك ابتهلت من أجل امرأة فاضلة في المرة القادمة. وفي تجسدك الخامس أعطيتك زوجة طيبة مع الصحة والثروة ولكن بعد سنتين من زواجك توفيت زوجتك الصالحة. بعدها قلت أنك ستكون سعيداً إن أعطيتك زوجة طيبة تعيش عمراً مديداً، إضافة إلى امتلاك الصحة والثروة. لكن ما الذي فعلته بنفسك؟ ولماذا اختلقت لذاتك كل هذه المتاعب التي لا نهاية لها؟ فمن خلال كل هذه الأشياء تحاول أن تمتلك السعادة في دنياي هذه المبنية أساساً على الأوهام! والآن أخبرني ما الذي تريدني أن أفعله لك؟"

فأجاب وحيد بكل خشوع:

"يا رب، لا أريد بعد الآن شيئاً سوى حضورك ورضاك! لا يهم إن كنت غنياً أو فقيراً، معافىً أو مريضاً، متزوجاً أم أعزباً، في الأرض أو السماء ما دمت تلهمني كيف أكون قانعاً وسعيداً تحت كل الظروف. ومن الآن وصاعداً سأستخدم إرادتي لتكون في توافق مع إرادتك".

فأجاب العلي القدير:

"يا بني، جوابك يرضيني. فهذه الأرض هي مجرد مسرحية أرسل إليها أنبائي الخالدين لكي يتسلوا ويسلوا بعضهم بعضاً. لكي يمثلوا لفترة ما في دراما الحياة ذات الفصول المتغيرة دائماً وأبداً، دون أن يقيديوا أنفسهم بهذه الأرض ذات القيود، ودون أن يفقدوا سعادتهم الفطرية التي أردتها لهم منذ أبتعتهم من ذاتي وكونتهم على صورتني. لكنهم وللأسف ينسون أثناء وجودهم الأرضي أن مآسي الحياة ومباهجها ليست سوى أحلام ضمن أحلام وهكذا يسموا سعادتهم ويقيدوا حريتهم برغبات وروابط أرضية لا أول لها ولا آخر. لا يمكن للإنسان أن يعثر على سعادة خالدة من هذه الأرض الفانية التي لا تعرف الثبات. فلا تبين صرح سعادتك فوق الرمال المتحركة لهذا الوجود الأرضي. وإن رغبت بالسعادة الدائمة توجه إلى داخلك، والعب دورك في الحياة

كما أريدك أن تلعبه دون أن تتدخل بتفاصيل الرواية الكونية التي خطتها يدي! عندئذ ستدرك أن شقائك مجرد حلم ليس أكثر. فقد خلقتك على صورتى النقية ووهبتك السعادة الأبدية ولذلك أريدك أن تكون سعيداً لأن طبيعتك الجوهرية هي الغبطة السرمدية".

المصدر: برمهنا يوغانندا

## الرأس المفصول الذي نطق وكتب على البلاط

في العصر المغولي عاش في الهند إمبراطور جبار قاسي القلب لم يفقه شيئاً من أساسيات الرحمة والشفقة .

كان عنيفاً وكثير الفضول مثلما كان مستبداً لا يسمح لأحد بمخالفته الرأي حتى ولو كان ذلك الرأي سليماً ومنطقياً، وكم من رؤوس طارت عن أكتاف أصحابها لهذا السبب بالذات.

أخيراً بلغت قسوة الإمبراطور الذروة عندما قابل قديساً عنيداً يدعى غوبند. هذا القديس أتى بمعجزات وخوارق عديدة لمساعدة الناس لا لإرضاء ميولهم أو إشباع فضولهم. وكان العديد من المرضى يحصلون على شفاء فوري من ذلك الرجل العارف بالله. كما أن العديد من الهانمين في ظلام الجهل أبصروا النور المحرر بفضل اتصالهم بذلك القديس العظيم.

القصص والشهادات عن القوى الشافية للقديس غوبند انتشرت في طول الهند وعرضها، حتى انتهت أخيراً إلى مسامع الإمبراطور الجبار فأثارت فضوله وأمر بإحضار القديس إلى البلاط المغولي المشهور.

وما أن مثل القديس أمام الإمبراطور حتى قال له دون مقدمات:  
"إن كنت قديساً مثلما يدعي الناس ويحتفون بما يسمونه معجزاتك فإني أمرك بأن تحافظ على رأسك بالبرهنة لي عن معجزاتك الآن في حضرتي".

لكن القديس الذي كان مسيراً بالإرادة الإلهية لم يأبه لتهديد الإمبراطور له ولم يرغب في الحط من قيمة قواه الإلهية بعرضها جزافاً لمجرد إرضاء فضول إمبراطور جاهل وجاحد لنعم الله، فالتزم الصمت.

كرر الإمبراطور طلبه مشفوعاً بالوعيد والتهديد والغضب يتطاير كالشرر من عينيه الجهنميتين. وإذ لم يحصل على جواب من غوبند استل سيفه وصاح بصوت جهوري وقد أخذ الحنق منه كل مأخذ:

"أريدك أن تعلم يا حضرة القديس أن من يخالف أمري لم تلده أمه بعد. فإن لم ترض فضولي باجتراح معجزة في هذه اللحظة فسيتدرج رأسك على البلاط".

أخيراً نطق القديس غوبند بهدوء ولكن بحزم قانلاً:

"أفصل رأسي إذاً عن جسدي أيها الملك الفضولي، وعندما ستحدث معجزة ترضي فضولك. وأؤكد لك أنك لن ترى معجزة قبل أن تقطع رأسي. هذا سافعله كي أحركك من طبيعتك الشريرة. وفي نفس الوقت أرفض الإمتثال لإرادتك، وأكرر بأنك فقط عندما تقتلني ستحدث المعجزة. وهذه التضحية الكبرى بحياتي سأقوم بها لشفانك من جهلك المرذول أيها الملك المغرور. والمعجزة التي ستحدث ستشهد بوجود القوى الإلهية التي لا تعرف عنها شيئاً. هيا أعمل سيفك في رقبتي ولا تتخاذل".

أظلمت الدنيا في عيني الملك واحتدم غيظه إلى أقصى حد بفعل تحدي القديس له. وإذ لم يتمكن من ضبط نفسه ضرب رأس القديس غوبند ففصله عن جسده. وبينما كان لا يزال ممسكاً بالسيف الذي يقطر دماً صنع وكاد يغمى عليه من شدة الخوف لرؤية ما حدث بعد ذلك.

فالقديس غوبند أوفى بوعده، إذ راح رأسه المفصول يرقص على رخام القصر حول قدمي الملك، وبدون رنتين أو أي أعضاء أخرى من الجسد راح ينطق بصوت عالٍ وفي نفس الوقت يسجل ما ينطقه بالدم على الرخام، فقال وكتب:

"أيها الإمبراطور الجبار، يا من تستمتع بعذاب الآخرين، لقد تمكنت من فصل رأسي عن جسدي لكنك لم تقو على انتزاع الأسرار الروحية من صدري. وها أنا ما زلت حياً في الله الواحد الأحد ودليل ذلك أنني أتكلم وتسمعي، وتلك هي معجزتي".

السعادة: هل يمكن بلوغها وما هي شروطها

عندما يمتلك الإنسان الإيمان الصحيح ويعمل بموجبه يكون أكثر سعادة من أولئك الذين يعوزهم الإيمان ولا يقومون بأداء الواجبات المترتبة عليهم في معركة الحياة .

فالإيمان السليم والعمل الصحيح (المدعوم بالدوافع النبيلة والنوايا الطيبة (موجودان دائماً وأبداً حيثما وجدت السعادة ومفقودان بفقدانها. من هنا يمكننا الإستنتاج أنهما شرطان أساسيان للسعادة التي لا يمكن تحصيلها بدونهما. فليس على الراغبين في امتلاك السعادة إلا امتلاك هذين العنصرين الأساسيين اللذين هما ركنا السعادة ودعاماتها.

لا يستطيع الإنسان أن يتحكم – على هواه – بمكونات الكون اللامتناهية، أو تعديلها أو محوها.. فتلك المكونات ترتبط خيوطها الدقيقة ارتباطاً وثيقاً بنسيج حياته ولا يمكن له العمل بمعزل عنها. لكن باستطاعته أن يتحكم بعقله بحيث يتأقلم معها فلا تلحق به الأذى.

أسلافنا كانوا أكثر سعادة منا لا لأنهم امتلكوا من الأشياء والمتع الدنيوية أكثر مما نمتلكه الآن، أو لأنهم كانوا أقل عرضة لمشاكل الحياة، بل لأنهم امتلكوا التوازن النفسي الذي منحهم الراحة والسلام والقناعة وباختصار السعادة.

لم يعتمدوا على ظروف خارجية لإسعادهم، ولم يستسلموا لظروف خارجية من شأنها أن تفقدهم سعادتهم. فشعورهم بالراحة والسلام والسعادة والرضى كان شعوراً اعتيادياً، طبيعياً، صحياً ومستداماً. ونحن أيضاً ينبغي أن ننمي ذلك الشعور فيما إذا رغبنا بامتلاك السعادة. ومن منا لا يرغب بامتلاكها؟!

القدر هو نتيجة ممارسة سابقة للإرادة الحرة أو حرية الاختيار. فبممارساتنا الماضية لحرية الإرادة جلبنا ونجلب على أنفسنا القضاء والقدر. لكننا لسنا مكبلين بالماضي ولسنا مقيدون بنتائج أعمالنا إلى الأبد، إذ بإمكاننا أن نقتلع ما زرعناه ونمحو ما كتبناه فيما إن نحن رغبنا بذلك وعملنا جاهدين على تصحيح المسار وتحسين نوعية الثمار.

فإن قضينا على بذور الأفعال ذات النتائج المؤلمة وغرسنا بدلاً منها بذوراً أكثر ملاءمة لطبيعة النفس فلا بد أن نجني ثمار السعادة من تلك البذور الصالحة المستتبّة في تربة النفس. لا بد لنا من ممارسة الإرادة الحرة الآن، الآن وليس غداً، إن نحن رغبنا بتحصيل مقدار أكبر من السعادة أو بتقليل المعاناة والألم.

وعليه فإن شروط السعادة كامنة في ذات الإنسان وما عليه إلا أن يتعامل بجدية مع تلك المعادلة التي لا تخطئ وستكون النتائج لصالحه إن هو أحسن التقدير والتعامل.

الماضي مجهول لمعظم البشر باستثناء قلة قليلة من المستنيرين. ومع ذلك فإن جهلنا بالماضي هو أيضاً لصالحنا. فلو عرفنا كل ما فعلناه في هذه الحياة وفي حيوات سابقة لهذا التجسد لصعقنا للتراكمات الهائلة ولأصابتنا بالذهول ، بل ولربما أصيبت إرادتنا بالشلل التام من هول المفاجأة فنعجز عن مواصلة السعي ونقع فريسة الإحباط.

وحتى في هذه الحياة الدنيا فإن النسيان نعمة من نعم الله، فلا تطغى على فكرنا وشعورنا تذكارات الماضي، لا سيما المرأة والأليمة منها.

لكن لحسن الحظ فإن الشرارة الإلهية بنا دائمة التالق بالأمل وبالرغبة في مواصلة مسيرة الحياة التي لا تتوقف. ويجب أن نشكر الله على هاتين النعمتين: نسيان الماضي والأمل بالمستقبل.

يجب أن لا نستنتج أن القدر يضع عوائق أمام حرية الإرادة، ومع ذلك علينا أن نبذل قصارى جهدنا لمقاومة المؤثرات السلبية التي يعزوها معظم الناس إلى القضاء والقدر، وممارسة حرية الاختيار بحسب قناعاتنا الباطنية شرط أن تكون تلك القناعات قائمة على الإيمان الصحيح ومركزة على القوانين الإلهية التي لا يمكن للإنسان أن يتذوق طعم السعادة الحقيقية دون مراعاتها والعمل بموجبها.

عندما نشعر في عمل ما ينبغي أن لا نرهب الظروف المعاكسة، بل يجب أن نكون متفانين إلى أقصى حدود التفاؤل، مع إيمان مطلق بأن لا شيء يمكن أن يقف عائقاً في سبيل تمرين الإرادة وممارسة حرية الاختيار.

إن لم ننجح في تحقيق مبتغانا فلا بأس من الاعتراف الضمني أن هناك أموراً معاكسة من صنع أيدينا حالت دون بلوغ الهدف، ولا بد من المثابرة ومضاعفة الجهود لبلوغ المقصود. كما يجب أن نؤكد لأنفسنا أنه مهما كانت العوائق والعقبات قوية وعاتية لا زلنا نملك ما يكفي من القوة لإزاحة تلك العوائق والتغلب على تلك العقبات.

وحتى إن أخفقنا بالرغم من كل المحاولات، فلا داع لللقنوط والإحباط ما دمنا ندرك أن إرادة الإنسان أقوى من القدر الذي هو من صنع يديه، ولذلك يجب أن لا يكف عن المحاولة مهما فشل في مسعاه لأن هناك أبواباً مفتوحة دائماً وأبداً وما علينا إلا أن نواصل السعي ونكرر المحاولة حتى يكتب لنا النجاح. فالله يمدنا بالعون ما دمنا نتوكل عليه ونبدل المجهود. فمن سار على الدرب وصل، وما خاب من على الله اتكل.  
المصدر: معرفة الذات



### بذل المجهود لوقف التفكير بالقروود

تاج بهادور كان تاجراً هندياً نشيطاً، يعمل لساعات طويلة ويصرف مبالغ كبيرة من المال الذي كان يكسبه بمشقة للسفر إلى بلدان بعيدة لتسيير أعماله وعقد صفقات تجارية جديدة.

كان يرغب كثيراً في خفض التكاليف التي يتطلبها عمله، لا سيما منها تكاليف السفر. لكن بالرغم من كل طرق التوفير والإقتصاد التي استعملها لم يتسن له تخفيض المصاريف إلى الحد الذي يرتضيه، ولذلك كان يصرف الكثير من وقته في التفكير بطرق جديدة لتوفير المال.

ومع أنه كان رجل أعمال ثرياً فقد فكر ذات يوم بالسفر إلى إحدى البلدان الأوروبية عن طريق البحر ومقايضة تكاليف السفر بالعمل على متن الباخرة أثناء الرحلة.

في يوم من الأيام وبينما كان صاحبنا تاج بهادور يفكر بطرق اقتصادية مبتكرة، تمنى لو أن الله خلقه بقوى خارقة يستطيع بواسطتها الانتقال الفوري من مكان إلى آخر بسرعة الضوء الذي يقطع مساحات كونية شاسعة بأسرع من لمح البصر.

في تلك اللحظة حضر إلى بيته صديق له كان يعرف تمام المعرفة اهتمامه بل هوسه بتوفير المال وخاطبه بصوت مرتعش: "إبشر يا تاج بهادور فإن حلمك سيتحقق عن قريب، إذ عثرت على رجل يستطيع المشي على صفحة الماء والتحليق في الجو كالطيور، وعلاوة على ذلك فهو مستعد لتلقي هذه الطريقة لتلميذ مستحق".

دُهِش تاج بهادور لهذا الخبر المفرج وقال مخاطباً نفسه: "الحمد لله ثم الحمد لله على إرساله لي مثل هذا المعلم القادر على الطيران. سأطلب منه كي يعلمني هذا الفن وسأوفر مبالغ طائلة جراء الرحلات المتكررة إلى البلدان الأوروبية".

وعلى الفور انطلق قاصداً ضفة النهر حيث كان المعلم الطيار يقيم لفترة وجيزة وطلب منه أن يعلمه فن الطيران الجسدي في الهواء.

رحب المعلم بالتلميذ وقال له: "يا بني، تكرم عينك. كل ليلة أخفت الضوء في حجرة نومك واقتل الباب. أجلس باعتدال على كرسي في وضع التأمل مواجهاً للشرق، بحيث يكون عمودك الفقري منتصباً. أغمض عينك وردد في قلبك عبارة (يا حي يا قيوم) لساعة كاملة. وبعد مضي شهر على ترديد الإسم القدوس ستتمكن من الإنطلاق في الهواء وفوق الماء بأسرع من الطير".

تعجب تاج بهادور من بساطة هذا الدرس، فشكر معلمه وقصف راجعاً إلى بيته. لكن معلمه ناداه قائلاً: "نسيت أن أوصيك بشيء آخر يتعلق بفن التحليق هذا، وهو عدم التفكير بالقروود أثناء ترديد إسم الجلالة. لا تفكر

بالقروء أثناء التأمل والذكر. وإلا لا فائدة ترجى من ممارسة الطريقة".

فأجاب التلميذ: "هذا أمر بسيط ومستطاع يا سيدي. كثر الله ألف خيرك، وأعاهدك بعدم التفكير بالقروء أثناء الممارسة." وبعد أن ودع القديس انطلق عائداً إلى بيته.

ما أن حل المساء حتى أغلق تاج بهادور نوافذ غرفته وأسدل الستائر، ثم جلس على كرسي وراح يكرر في نفسه عبارة "يا حي يا قيوم". وما أن شرع بالترديد حتى فكر على الفور: "يجب أن لا أفكر بالقروء!"

مضت دقيقتان ذكر خلالهما تاج بهادور نفسه عدة مرات بأنه ينبغي له عدم التفكير بالقروء. ولكن ما أن انقضت عشر دقائق حتى وجد أنه قد فكر بكل القروء الموجودة في أمريكا الجنوبية والهند وأفريقيا وسومطرة ومدغشقر وأماكن أخرى عديدة. فاحتمد غضباً وراح يتميز غيضاً.

حاول قسارى جهده وقف التفكير بالقروء التي كانت تنط وتتقافز بوتيرة متسارعة من نوافذ عقله العاجز. وبعد مضي ساعة وجد نفسه أنه لا يفكر بشيء آخر سوى القروء.

كل يوم كان يتأمل بجد وإخلاص، إنما كان تأمله على كيفية التخلص من ملايين القروء التي كانت تتوافد زرافات ووحدانا على عقله غير الحصين إزاء هجمات السعادين.

وبعد شهر من التركيز على القروء بكل ألوانها وأصنافها وأشكالها وشيطنتها انطلق تاج بهادور إلى معلمه وقال له بصبر نافذ: "هاك طريقتك التأملية يا سيدي. لا حاجة لي بها بعد الآن، فأنت بالحقيقة علمتني التفكير بالقروء وليس شيئاً آخر".

ضحك المعلم ملء قلبه، وبصوت أرق من النسيم وأنعم من قطرات الندى على براعم الزهور قال لتلميذه:

"يا بني، لقد حاولت أن أبين لك كم هو غير منضبط عقلك وكم هو عاجز عن التركيز على شيء واحد دون سواه في المرة الواحدة. فما لم تدرب فكرك وتطلب منه الإمتثال لإرادتك لا يمكنك تحصيل النجاح الفعلي في الحياة، ناهيك عن التحليق في الجو الذي هو أصعب بكثير من الإجازات الأخرى.

"أولا وقبل كل شيء، تعلم ضبط عقلك، بعدها استخدم تلك القوة لإحراز أشياء صغيرة وبسيطة مبدئياً. عندما تستطيع ذلك يمكنك محاولة القيام بأمر أكبر وإنجازات أعظم إلى أن ينمو عقلك ويتطور لدرجة تمكنك من التحليق في الجو أو من تحقيق إنجازات أعظم من ذلك كتوسيع مدارك وعيك والتعرف على ذاتك". والسلام عليكم.

## الإيمان بالله والثقة بالمرأة دعامة الحياة السعيدة

الإيمان هو صورة من صور الخلود ويشمل كل الأشياء قديمها ومستقبلها. فهو يدرك وجود حقائق عليا وأمر غير منظورة. ومن يمتلك الإيمان يعرف حدساً أن هناك أشياء مجيدة في انتظاره ما دام يواصل تأدية واجباته ويشكر الله على هباته.

الإيمان المطلق بوجود الله والتأمل في عظمته يوسع مدارك العقل وينقي القلب من الشوائب، ويعزز الفهم بل ويخلق أبعاداً عقلية جديدة، مثلما يحد من الرغبات الجامحة ويحجم الهموم والمخاوف.

كل الدعائم والسقالات العلمية تتهاوى وتسقط كمنبى مدمر أمام كلمة واحدة هي الإيمان !

الإيمان يتقدم مسيرة التقدم، وهو رفيق دائم وحضور ملازم لكل فلسفة عميقة وإنسانية نبيلة وحكومة نظيفة وقصيدة ملهمة.

يجب أن يقوم الإيمان على براهين مقنعة وإلا لتحول إلى خرافات وأوهام.

الإيمان يرتقي بالنفوس وينقي العواطف ويحفظ الكرامة الإنسانية ويضفي على ظروف الحياة العادية لمسة مميزة من النبل والسمو.

لا يمكننا أن نعيش على ما هو ممكن ومحتمل. فالإيمان الذي يساعدنا على العيش بجرأة والموت براحة ضمير لا بد أن يكون حقيقة ثابتة لا تحتاج إلى مزيد من البراهين والإثباتات.

الإيمان الصادق يشبه معبداً فخماً مزيناً بنوافذ ملونة ذات رسوم بديعة وتصميمات في غاية الدقة والإتقان.

الناظر إلى ذلك المبنى من الخارج لا يتبين شيئاً يذكر من روعته. أما بالنسبة للذين في داخله فإن كل شعاع يظهر لهم روائع وتحفاً فنية يصعب التعبير عنها بالكلام.

تاريخ الإيمان الحق هو تاريخ مزهر ومثمر بكل عطاء، أما تاريخ الشك فهو تاريخ قاحل مجذب مهما بدا ناضراً ومتألّقاً. وكل عمل عظيم يبدأ بخطوة أولى نحو الإيمان.

الإيمان بالله والثقة بالمرأة دعامتنا الحياة السعيدة!

الإيمان يجزم بوجود أشياء كثيرة تلتزم الحواس الصمت حيالها دون أن تؤكد أو تنفي وجودها، لأن تلك الأشياء على ما يبدو أسمى من الحواس ولذلك فهي ليست بحاجة لشهادتها نفيًا أو إيجاباً .

الإيمان والأعمال هما مطلبان ضروريان للحياة الروحية. فالإيمان هو روح الدين والعمل جسمه. (وقل اعملوا فسيري الله علمكم ورسوله والمؤمنون).

لا يفتخر الإنسان بإيمانه بالله ما دام لا يحب جاره مهما كان معتقده. وليس بالإمكان أيضاً محبة الجار بدون إيمان بالله. فالإثنان: الإيمان والمحبة لا ينفصلان ولا يقوم أحدهما بدون الآخر.

الإيمان هو العين التي تبصر الله واليد التي تمسك به وقوة التقبل التي تقدره حق قدره.

الإيمان الحق ينظر إلى أعلى ويصف أشياء بعيدة. أما القوة المفكرة فلا تكتشف إلا الأشياء القريبة منها ولا ترى شيئاً فوقها.

أقدام الإيمان تخطو وتخطر على ما يبدو فراغاً لكنها بالحقيقة تجد صخوراً صلبة تحتها تسندها فلا تسقط.

الإيمان يمنح العزم في حين الشك يوهن الفكر والأعصاب ويبدد منهما الطاقة والحيوية. ولذلك الإيمان قوة والشك ضعف. والقناعات القوية تسبق الأعمال العظيمة.

الإيمان هو الجذور الحية لكل الأعمال الطبيعية، أما الجذور الميتة فلا تنتج شيئاً. الإيمان والعمل كالشمعة وضوئها لا يمكن فصلهما عن بعضهما.

الإيمان دون عمل كالطائر المقصوص الجناحين. فهو قد ينط ويتقافز على الأرض ولكنه لن يتمكن من الطيران والتخليق في الجو. ولكن عند اقتران الإيمان بالعمل ترتفع النفس بثقة وقوة إلى أعلى عليين.

ما يبعث الإعجاب في كولومبس ليس اكتشافه قارة جديدة بل مغامرته بحثاً عنها إيماناً منه بوجودها.

الإيمان هو ريشة النفس التي ترسم بها صوراً سماوية.

أخطاء الإيمان أفضل بكثير من يقينيات الشك.

في الوقت الذي يشغل الشك نفسه فيه بالأسرار والخفايا يتمتع الإيمان بخبز الحياة بابتهاج قلب وارتياح ضمير، بعيداً عن القلق والأرق.

لو نزعنا عنصر الإيمان من البشر لتحولوا إلى قطعان من السائمة هائمة على وجهها دون دليل يرشدها أو هدف تسعى إليه. والإيمان هو الأساس الأدبي والخلقي لكل مجتمع وكل أمة.

إننا نفقد الكثير من المعارف العليا عندما نفقد الإيمان. الإيمان هو منبع البركات، والمؤمنون هم السعداء حقاً في الحياة.

الإيمان كالحب لا يمكن فرضه بالقوة. فكما أن فرض الحب يولد الكراهية هكذا فرض المعتقدات بالقوة يفضي إلى الإلحاد. (لا إكراه في الدين). والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

## الجدة والحفيد والدرس المفيد

في قرية ريفية صغيرة عاش صبي يتيم مع جدته. والداه توفيا عندما كان طفلاً صغيراً فاحتضنته وتولت رعايته جدته الثرية التي أحبته حباً عظيماً ولذلك كانت متساهلة معه إلى أقصى الحدود. لكن للأسف حبا

لحفيدها جعلها تتغاضى عن تصرفاته غير السليمة. وسواء كان على خطأ أم على صواب كانت دوماً تبذل قصارى جهدها لترضيته وتحقيق مطالبه وطمأنته بأن الدنيا بألف خير، لأنها كانت تنظر إليه على أنه ملاك منزّه على الأخطاء.

عندما بلغ الصبي سن السادسة أرسلته جدته إلى مدرسة القرية. كان بلا أدب وتصرفه سيئاً للغاية بحيث أن المدرسة بكاملها ضجت بشيطنات هذا الدلّوع الصغير الشقي. وقد أرسل المدرسون عدة رسائل إلى جدته وأعربوا لها عن قلقهم من السلوك غير المقبول لحفيدها. لكن الجدة الحنونّة لم تلق بالأولم تعر انتباهاً لتلك الشكاوى بل أنها ذهبت إلى المدرسة وعنفت المدرسين لاختلافهم الذنوب وإصاقهم العيوب بحفيدها "المعصوم".

وهكذا حظي المحروس بحماية جدته ورضاها عن كل شيء كان يفعله فازداد سوءاً إلى أن تحول أخيراً من لعب المقالب إلى عمل أشياء أكثر خطورة. غني عن القول أنه تعلم الكلام البذيء بكل صنوفه واشتقاقاته وراح أيضاً يمد يده إلى أغراض زملائه فيأخذ ما طاب له منها. وذات يوم سرق قلم حبر ثمين من أحد زملائه وغادر المدرسة على الفور قاصداً ذراعي جدته المحبّة التي كانت ملاذّه الوحيد من كل هموم الدنيا.

وما أن وصل البيت حتى تلقفته وتلقته الجدة بالأحضان وراحت تعدق عليه الضمات والقبلات بلا حساب. وقد وجد الولد صعوبة في استرعاء انتباه جدته لأن حنانها كان بالفعل بلا حدود.

أخيراً وعندما صحّت الجدة من سكرة العطف والحنان قال لها حفيدها: "يا ستي، لقد حاولت أن أخبرك ولكنك لم تسمحي لي. بصراحة يا ستي كان على بالي أن أحصل على قلم حبر، فرأيت قلماً جميلاً في جيب أحد زملائي فعاقلته وبخفة ومهارة (لطشت) القلم منه".

وكالعادة ضمت الجدة المحبّة حفيدها إلى صدرها الدافئ وقالت له: "يا روح ستك! ولا يهملك فأنت قرّة عيني وحبيب قلبي مهما فعلت".

دُهِش الولد لحصوله من جدته على التطمين والكلام اللطيف بدل التأديب والتعنيف. وإذ تشجع بموقفها تجاهه راح يسرق كتباً وأقلاماً وأشياء أخرى ثمينة من زملائه.

أخيراً طُفح الكيل ولم يعد تصرفه محموداً فعقد المدرسون جلسة خاصة بسلوك الولد. وبعد مداوات مطولة ومناقشات حادة قرر حتى أكثر المدرسين تساهلاً التخلص من الولد المدلل الفاسد، فتم طرده من المدرسة.

نوايا الجدة ربما كانت سليمة لكن أسلوبها كان مغلوطاً من الأساس. ومع توالي السنين أصبح حفيدها لصاً محترفاً. وما أن أصبح شاباً حتى انتسب إلى عصابة لصوص وراح يخطط وينفذ العديد من الجرائم مع رفاقه الحرامية.

وبين يوم وآخر كان أحد سكان القرية يعلن عن فقدانه لعنزته أو بقرة أو نعجته. آخرون لاحظوا أيضاً أنهم يفقدون ممتلكات ثمينة من بيوتهم. فحصل هرج ومرج وتطوع العديد من القرويين لإلقاء القبض على السارق.

أما الحفيد الذي تمرس في السرقة وأعمال الشر فقد ازداد جرأة واكتسب درجة عالية من الدهاء والذكاء بحيث كان لا يترك أثراً يشي به وبأعماله الإجرامية.

ولكن بما أنه من المستحيل على أي شخص أن يتستر على جرائمه إلى ما لا انتهاء، ومن المستحيل أيضاً أن يتمكن دوماً من تضليل كل الناس والضحك على ذقونهم، فقد وقع المجرم في مصيدة نصبها له القرويون وانتهى به المطاف إلى ساحة القضاء.

عقدت جلسة عاجلة للنظر في أمره، وقد حاولت جدته الثرية كل ما بوسعها لإطلاق سراحه لكن دون جدوى، فصدر الحكم على حفيدها الشرير بالسجن لعشر سنوات مع الأعمال الشاقة بعد أن اعترف بضلوعه في أكثر من أربعين سرقة.

وعندما قيدت يداها واقتيد إلى السجن التمس طلباً أخيراً وكان عبارة عن رغبته في أن يهمس بعض الكلمات في أذن جدته. استدعيت الجدة على الفور فحضرت بلهفة كبيرة ودموع الحزن تنهمر بغزارة من عينيها، وقربت أذنها من فم حفيدها لتسمع ما عساه أنه يهمس لها .

وما أن فعلت ذلك حتى انقلب حفيدها إلى كلب ضخم، انقضّ على أذنها بأسنانه فأمسك بها جيداً وراح ينهشها نهشاً والجدة تصرخ وتلعن وتدعي على حفيدها بالويل والثبور وعظائم الأمور.

وبعد لطمات وركلات قوية من رجال الشرطة تم الفصل بين الحفيد وجدته فانفصلت أيضاً قطعة لا بأس بها من أذن الجدة.

أخيراً أخذ الحفيد ثأره من جدته. وبينما كانت سته الحنونة لا تزال تصيح وتشتتم قال لها حفيدها بارتياح ورضى كبيرين:

"اسمعيني يا ستي! لو أنك عنفتيني وأدبتيني عندما سرقت أول قلم حبر في حياتي لما كنت اليوم في طريقي إلى السجن كي أمضي فيه عشر سنوات مع الأعمال الشاقة. وما فمت به الآن هو بعض ما تستحقينه على تربيتك المغلوطة لي التي أوصلتني إلى ما أنا عليه اليوم".  
المصدر: برمهسا يوغانندا

## قطار الزمن

هذا القطار الدائم التوقف والإطلاق عبر محطات العمر الكثيرة. يحمل على متنه البشرية جمعاء، لكن لكل واحد تجربته وظروفه وأحداث حياته الخاصة التي تختلف عن أحداث وظروف وتجارب الآخرين بالرغم من تشابه الخطوط العريضة وتلاقي النقاط الذاتية والجماعية التي كثيراً ما تتقاطع، ويا له من تعقيد ويا له من تشابك!

هذا القطار هو كناية عن مسيرة النفس على دروب الحياة وأيضاً على دروب الأبدية. فالمسيرة التي تبدأ بالولادة على هذه الأرض تنتهي بالعودة إلى لانهائية الكون حيث تتواصل في أقطار وقطارات وظروف أخرى تختلف عما اختبرته النفس في هذا العالم ذي الحدود والأبعاد.

النفوس المرهفة على هذه الأرض تحس بشوق دفين إلى شيء قريب بعيد لا تعرف ماهيته إنما تحس بوجوده مع أنها لا تراه وتشعر بصلتها الوثيقة به بالرغم من عدم تحديدها لهويته.

إنه شيء حقيقي بالنسبة لها ولا يمكن لأحد أن يقتعها بخلاف ذلك. تحاول سماع صوته الصادر من هوة المجهول فلا تكاد تلتقط حتى رجع صدها.. وتحاول مشاهدة صورته فتعجز عن لمح حتى طيفه الشارد.. ومع ذلك تبقى موقنة بوجوده وعلاقتها الأبدية به.

تواصل مسيرتها في الحياة.. تكابد ما تكابد من صعوبات عيش وآلام نفس.. تتأوه وتتندم متساعلة بينها وبين نفسها عن السر من كل هذا وذلك.. تبحث عن ضالتها في واحة الفكر التي هي قطعة من رياض الأبد حيث أطيايف السعادة دائمة التماوج في عوالم الأثير وحيث الأشواق الحية ذات الوثبات البعيدة في سماء النفس ومراميتها السحيقة.

لا أذكر قائل هذين البيتين:

لا تخاليني لصيقاً بالثرى لا تمس الأرض إلي قديمًا  
إنما الإنسان مذ نشأته للثرى شيئاً وشيناً للثرى!

ربما أحس صاحبهما بما نتحدث عنه هنا فراح يؤكد لحبيبتيه – التي ربما كانت نفسه ذاتها – بأنه شبه متحرر من الأرض التي هو عليها. وراح يعزي نفسه أنه بالرغم من وجوده في دنيا الواقع ذات الكثافة والجاذبية التي تشده إلى هذه الكتلة المادية وتقيده بألف رباط منظور وغير منظور.. ما زال مع ذلك متحرراً بفكره وأشواقه وطموحاته إلى مستويات بعيدة بعد الثريا عن الثرى.

ويواصل قطار الزمن رحلته.. فيتوقف ثم يعاود الإطلاق.. وتكاد الرحلة تبدو لا متناهية. لكن سنصل ذات يوم إلى المحطة الأخيرة في رحلتنا الجماعية وتبدأ رحلتنا الفردية فنودع رفاق الدرب وداعاً قد يبدو لا لقاء بعده.. لكن الله أكرم من أن يفرق المحبين فراقاً أبدياً، إذ لا بد لهم من لقاء سوا في هذه الدنيا أم في مستوى آخر من عوالم الله التي تفوق عدأ نجوم الليل التي تحدثنا عنها في إحدى الإنطلاقات.

فالحياة كما يقول روبرت إنغرسول ليست سوى وادٍ ضيق بين قمتي الأبدية الباردتين القاحلتين.

نحاول استشراف الأفق ما وراء القمم البعيدة ،

فيرتفع صوتنا بالبكاء ولا من مجيب سوى صدى النشيج.

ومن شفاه المفارقين الصامتة لا نسمع جواباً.

لكن في أعماق الليل يبصر الأمل نجماً

ويسمع الحب حفيف أجنحة.

وكان الراحل يعتبر دنو الأجل

عودة العافية إليه على عجل..

فيهمس همسته الأخيرة، جلية صافية:  
"لقد رُدَّت إليّ روحي واستعدت عافيتي!"

فلنوقن بالرغم من الشكوك والأفكار القديمة المتخندقة في كهوف الوعي..  
ولنؤمن بالرغم من كل المخاوف والدموع..  
أن تلك الكلمات هي عين الصواب  
وتنطبق على كل من فارقتنا من أحباب.

أما جون لوكي مكريري الذي نترجم هنا كلماته – وكلمات غيره من شعراء الروح وربما أحاسيسهم أيضاً  
– فيؤكد لنا – مثلما يؤكدون – ديمومة الحياة بعد الموت إذ يقول:

ليسَ في الوجودِ من موتٍ ولا فيه فناءُ  
فالنجومُ تأفلُ لتبزغَ من جديدٍ  
في فضاءاتٍ سحيقةٍ وعميقةٍ  
فراها تتألقُ كالدررُ عند المساءِ  
وترصعُ صفحةَ الأفقِ وتيجانَ السماءِ.

والغبارُ تحتَ أقدامِ البشرِ  
إذ يمازجُه المطرُ .. يتحوّلُ  
لحبوبٍ ذهبيةٍ .. لثمراتٍ شهيةٍ  
ولزهورٍ نديةٍ ..  
ذاتِ ألوانٍ بهيجةٍ وبهيةٍ.

والصخورُ الصلبةُ إذ تتفتتُ  
تهبُ الطحلبُ ما يحتاجُه  
من غذاءٍ للنماءِ  
وكذا الأوراقُ .. أوراقِ الشجرِ  
تأخذُ الأقواتِ من قلبِ الهواءِ

ليسَ من موتٍ، فقد يهوي الورقُ  
والزهورُ تدبُلُ ثم تزولُ  
إنما تهجعُ في فصلِ الصقيعِ  
بانتظارِ الدفءِ مع شمسِ الربيعِ.

ليسَ من موتٍ بل الموتُ ملاكُ  
يأتي للأرضِ لينقلَ للسماءِ  
أنفساً تسكنُ منا في الفؤادِ  
فنقولُ فارقونا للأبدِ!

ويغادرُ ليخلفَ وحشةً  
بعد أن يقطفَ زهراتِ القلوبِ  
ليزيّنَ فيها مرجَ الأبدِ  
فتخلدُ .. وتتحدى الذبولُ

وطيورٌ أبهجتُ هذا المكانَ  
بأناشيدِ المحبةِ والفرحِ  
تشدو جذلانةً بدنياها الجديدةِ  
بين أغصانِ الجنانِ  
وسنطَ أجواءِ الأمانِ.

كلما أبصرَ بسمةَ نيرةٍ  
أو رأى نفساً نقيةً طاهرةً  
يأمرُ بنقلها إلى السماءِ  
حيث أنوارُ السعادةِ ساطعةٌ  
والمباهجُ أبداً دونَ انتهاءٍ

فالنفوسُ الخالداتُ لا تموتُ  
إن تفارقنا فللفردوس ترجعُ  
فنظل نتوجعُ  
إنما لو نحنُ أدرکنا مصيرَ الغائبينُ  
لفرحنا كونهم في الله يحيوا خالدین.

ويظلوا قربنا رغمَ احتجابِ  
يلهمونا، يحفزونا، يملأونا بالأملِ  
للتأمل في خفايا الموت.. ذي السرِّ المصونِ  
علنا نستنتجُ دون ارتيابِ  
أن لا موتَ ولا هم يحزنون!



**من أدعية هنود أمريكا الحمر**  
أيها الروح الأعظم،

يا من أسمع صوتك في دمدمة الرياح..

ويا من تبعث أنفاسك الحياة في كل العوالم..

استمع إلى ندائي!

فأنا الصغير الضعيف في أمس الحاجة إلى قوتك وحكمتك.

دعني أسير على دروب الجمال.

بارك عيني كي تبصرا السحاب الأحمر والغروب الأرجواني.

لتحترم يداي كل ما خلقته، وليصبح سمعي مرهفاً كي ألتقط نغمات صوتك.

هب لي الحكمة حتى أفهم الأشياء التي علمتها لأبائي وأجدادي.

دعني أتعلم الدروس التي أودعتها في كل صخرة وكل نبتة وورقة.

أسألك القوة لا لأستقوي على أخي، بل لأقهر عدوي اللدود: نفسي.

دعني أفكر الأفكار النظيفة وأعمل بنية طيبة.

ساعدني كي أقف بجانب الآخرين وأمد لهم يد العون.

والهمني كي أكون دوماً على أهبة الإستعداد لمقابلتك  
بيدين نظيفتين وعينين غير منكسرتين..

بحيث عندما تخبو جذوة العمر

مثلما يتلاشى الشفق

تنطلق روحي إليك بكل ثقة

وبلا حسرة أو ندامة.

## من أسرار اليوغا

اليوغا ليست ديناً بل علم. فعصرنا هذا هو عصر علمي وقانون السبب والنتيجة يعمل بدقة متناهية، تماماً مثلما نحصل على اللون الأخضر لدى مزجنا اللونين الأصفر والأزرق معاً. تلك حقيقة علمية لا جدال فيها ولا خلاف عليها.

عندما تبدأ بشد أو مط أطراف الأعصاب والعضلات وتقوم بثني أو لي العمود الفقري ومفاصل الكاحل والركبة والورك فمن الطبيعي أن صحتك ستتحسن وستشعر بالإرتياح على الفور.

فيمطّ الأعصاب يقل التوتر والإجهاد. اليوغا هي للجميع، وليس لحفنة من الأشخاص دون سواهم. فهي تساعد المراهقين على اكتساب الأوضاع الصحيحة والمريحة، مثلما تساعدهم في التعامل مع مشكلات الحياة وتكوين بنية سليمة وتقاطيع وسيمة. وبكل تأكيد تساعد أيضاً على تخطي عقدة النقص المرتبطة بحدثة السن.

كما يمكن للكبار أيضاً أن يستفيدوا من كل منافع اليوغا التي يمكن الحصول عليها بممارسة مجموعة من التمرينات والحركات البسيطة التي لا تحتاج إلى أثقال أو أدوات خاصة للتمرين. إذ بإمكان كل شخص القيام بتلك التمارين بكل ثقة شرط أدائها بكيفية صحيحة حسب الأصول اليوغية المتبعة.

هناك دراسات تثبت أن الرجال والنساء ممن هم في سن الستين يضارعون أبناءهم نشاطاً وحيوية بفعل ممارسة اليوغا المنتظمة.

التنفس الصحيح هو أيضاً من تمارين اليوغا. فلو أتقن الشخص الطريقة الصحيحة للتنفس ولم يتقن غيرها من طرق اليوغا لما احتاج لتمرين أخرى. والأطباء العصريون يؤكدون ما عرفه اليوغيون منذ خمسة آلاف سنة. فالتنفس الصحيح يحول دون النوبة القلبية التي هي السبب الرئيسي لمعظم الوفيات في العالم.

كذلك فإن ممارسة اليوغا تساعد على التخلص أو التقليل من القرحة المعوية والجلطة الدماغية. أضف إلى ذلك التخلص من أوجاع الظهر التي غالباً ما تؤدي إلى أوضاع الجلوس غير الصحيحة التي تتسبب بدورها في الكثير من المشكلات الصحية. فالعمود الفقري ينبغي أن يبقى معتدلاً أثناء الجلوس. اليوغا تعلم الشخص ذلك.

الغرض من إبقاء العمود الفقري منتصباً أو معتدلاً هو لتسهيل انتقال التيارات الحيوية بحرية ودون عائق من الدماغ إلى كافة أعضاء الجسم.

كما أن اليوغا تساعد أيضاً على تخفيف الوزن أو إعادة توزيعه بكيفية متناسبة، مثلما تساعد على تقوية الذاكرة وتعزيز قوة الدماغ والتخلص من الرشح أو الزكام في فصل الشتاء. والشعر أيضاً ينمو بوتيرة أسرع بفعل ممارسة اليوغا. فالعقل والجسم يعملان بتناسق تام مما يمنح توازناً دقيقاً على المستويين الجسدي والنفسي.

هناك أشخاص في السبعين من عمرهم ممن يمارسون بارتياح ووقفة الرأس ووقفة الكتفين فيشعرون بانتعاش في القوى وخفة في الجسم. كما يجلسون متربعين (في وضع اللوتس) أثناء التأمل، الذي يعتبرونه أفضل الأوضاع وأنسبها للجسم. وهناك أيضاً تمارين تساعد على التحرر إلى حد ما من الجاذبية التي تشد جسم الإنسان شداً إلى الأرض فيحس الممارس بفيض من الحيوية والخفة غير العادية وكأنه عاد طفلاً مليناً بالقوة والنشاط.

يوجد العديد من الممثلين الذين يمارسون اليوغا لفوائدها الجمّة من الناحيتين النفسية والبدنية. بل وهناك الكثير من مشاهير ورؤساء العالم من ممارسي اليوغا لفوائدها العميمة.

كما أن ممارسة اليوغا تقوي الإرادة وتمنح الصفاء الذهني مثلما تساعد على تنمية ملكات الإدراك والتمييز في الإنسان.

(ملاحظة: ننصح الراغبين في ممارسة اليوغا باستشارة أحد الأخصائيين المعتمدين في هذا المجال للتأكد من الممارسة الصحية والصحيحة لليوغا).

المصدر: معرفة الذات

أينتشتين بعيداً عن التعقيدات الكونية

من أقوال ألبرت أينشتاين:  
كل الباحثين الجادين في العلوم يدركون في نهاية المطاف أن هناك روحاً يظهر في قوانين الكون. وهذا الروح هو أسمى بكثير من الإنسان. فمع كل القوى والإمكانات المتواضعة التي نملكها لا يسعنا إلا أن نقف بخشوع أمام ذلك الروح العظيم.

إن أسمى غاية للإنسان هي خدمة الآخرين بدل التسلط عليهم أو إخضاعهم لإرادته بأي شكل من الأشكال.

إنني أذكر نفسي مائة مرة في اليوم بأن حياتي الباطنية والظاهرية تقوم على جهود الآخرين، أحياء وأمواتاً، وأنه ينبغي لي أن أبذل قصارى جهدي كي أعطي نفس المقدار الذي حصلت وما زلت أحصل عليه.

إنني منجذب بكيفية خاصة إلى الحياة البسيطة ومع ذلك أشعر في قرارة نفسي أن هناك العديد من أبناء جنسي ممن يكدون ويكدحون من أجلي. كما أنني أعتبر الفوارق الطبقيّة غير مبررة إطلاقاً ومؤسفة على القوة ليس غيرها. كذلك أؤمن أن الحياة البسيطة المتواضعة تناسب كل إنسان، مادياً ومعنوياً.

لا أمل في التطور الروحي إلا بالسعي الحثيث في الحصول على الحرية باطنياً وظاهراً. ومع امتلاك تلك الحرية ينعم الإنسان بالحياة الكريمة سواء في ذاته أو في مجتمعه.

العلم بدون دين أعرج، والدين بدون علم أعمى.

الإنسان هو جزء من الكل الذي ندعوه "الكون". إنه جزء محدود في الزمان والمكان. فهو يشعر بأن أفكاره ومشاعره منفصلة عن كل ما حوله. تلك هي خديعة بصرية من صنع وعيه. وهذا الوهم هو بمثابة السجن لنا، يقيدنا برغباتنا الشخصية وبمحببتنا لقلّة قليلة من أعزائنا الأكثر قرباً منا. علينا أن نحرر أنفسنا من هذا السجن بتوسيع دائرة تعاطفنا حتى تشمل كل الكائنات الحية والطبيعة بأسرها.

من المهم للطالب أن يحرز فهماً أكيداً وتقديراً فعلياً للقيم الصحيحة. كما ينبغي أن يمتلك حساً أخلاقياً نامياً للتمييز بين الخطأ والصواب، وإلا لأصبح – بالرغم من كل علومه المتخصصة – كلباً جيد التدريب بدلاً من إنسان ذي شخصية توافقية ومرتنة.

إنني مقتنع كل القناعة أن ما من ثراء في الدنيا قادر على تسريع تطور البشرية، حتى ولو كان المال بين يدي أكثر الناس غيرية ومحبة لمنفعة البشر. إن القدوة الحسنة والمثال الصالح لذوي الدوافع النظيفة هما ما يلهمنا الأفكار السامية والأفعال النبيلة.

الوسائل هي مجرد أدوات غير فعالة ما لم يكمن خلفها روح حي.

إن كان طموحنا قوياً لبلوغ هدف عظيم فلن تعوزنا القوة ولن تعيننا الحيلة لبلوغ ذلك الهدف وترجمته إلى أفعال.

المصدر: معرفة الذات

## أقوال في النجاح والناجحين

الطفل قد يتصور النجاح على أنه امتلاك العديد من الألعاب والدمى، وربما سيارة صغيرة أيضاً كي يركب فيها. الطفل الفقير قد ينظر إلى النجاح على أنه امتلاك بعض النقود لشراء ما يحلو له، في حين قد يتبرم الطفل الغني بما لديه من ألعاب ولا يعرف الراحة النفسية. وقد يصبح من الصعب إرضاء ذلك الطفل لكثرة الأشياء التي بين يديه.

عندما يتقدم بنا العمر نضحك على رغبات الطفولة. حتى الكثير من الأشياء التي يعمل الكبار من أجل الحصول عليها اليوم تفقد رونقها غداً أو بعد غد لتحل محلها رغبات أخرى جديدة.

من المستحسن أن يستعمل الشخص التمييز بين ما هو ضروري وما هو غير ضروري.

النجاح ضروري كي يتمكن الشخص من امتلاك ضرورات العيش من طعام وثياب ومأوى وصحة. فإن لم يمتلك هذه الأشياء ولو بنسبة ضئيلة فهو في وضع باتس.

يجب أن يتمكن المرء من الحصول على حد أدنى من الراحة والسعادة اللذين يبحث عنهما. وسواء كان الشخص روحياً أم مادي الطباع فلا خلاف على وجود بعض الحاجيات الرئيسية التي ينبغي الوفاء بها بحيث يتمكن من الإحتفاظ بجسمه سليماً ومعافى. وما لم يكن معافى وسليماً (نفسياً على الأقل) فلن يتمكن من تحقيق

## النجاح.

لكن ما هو النجاح الحقيقي؟ فلو حصل الشخص على كل ما يريد في الحياة سيظل يشعر مع ذلك بفراغ لأنه روح والأشياء المادية لا قدرة لها على منح السعادة التي هي حالة نفسية أولا وقبل كل شيء .

لنا القدرة على إسعاد أنفسنا مثلما لنا القدرة على إتعاس أنفسنا. وسرّ النجاح والسعادة يكمن في داخلك. قد تكون سعيداً في بيتك الصغير المتواضع أكثر من الملك في قصره الفخم. فمن يجد النجاح والحبوحة خارج نفسه فهو ليس ناجحاً ولا سعيداً. هذا لا يعني أن المليونير غير سعيد، بل المقصود هو إن تمكنت من استخلاص السعادة من الحياة، سواء كنت فقيراً أم غنياً فأنت ناجح بكل المعايير.

اللذة التي تدوم للحظة وتترك في أعقابها حسرة وندامة ليست سعادة. في النجاح الحقيقي تبقى ذكرى تحقيق النجاح حية حتى ولو تلاشى إحساس البهجة بالإتجاز. إن كل الأشياء الطيبة التي فعلها ويفعلها الإنسان في حياته تحيا للأبد في الذاكرة كفرح دائم. ذلك هو النجاح الحقيقي الذي يحرزه الإنسان في حياته.

النجاح ليس شيئا بسيطاً، إذ لا يمكن قياسه بثروة الإنسان أو ممتلكاته. معنى النجاح هو أعمق من ذلك بكثير. النجاح الفعلي يمكن قياسه بقدرة الشخص على أن يكون سعيداً تحت كل الظروف.

عندما يكون ضميرك راضياً مرتاحاً،  
ولا تكون متحيزاً لأحد أو مجحفاً بحق أحد،  
وعندما تكون إرادتك صلبة ومرنة في آن،  
وتمتلك إحساساً مرهفاً وتمييزاً صائباً،  
وعندما تقدر على تحصيل ما تحتاجه بطرق شريفة ومشروعة،  
فأنت من الناجحين.

الطفل غالباً ما يقتنع ببعض الأشياء الصغيرة، لكن عندما يكبر يرغب في امتلاك أشياء كثيرة من فيلات وسيارات مع أنه يعلم أن أصحاب تلك الأشياء ليسوا بالضرورة سعداء.

الرضاء يكمن في العيش البسيط والأفكار الرفيعة. فالذي يبقي عقله في عالم المثل –عالم الأفكار السامية – يشعر بسعادة أكبر مما لو حصر أفكاره بالأمر المادية لا غير. المنهمكون في الماديات دون سواها.. المهتمون في تكديس الكماليات (قصد الفخخة والمباهاة) ليسوا على درجة كبيرة من الرقي.

من الأجدى للإنسان أن يقرأ الكتب والمواضيع النافعة بدلاً من إضاعة الوقت على نشاطات غير مثمرة. وأعظم من القراءة التفكير بالله والتأمل بعظائمه ومحاولة معرفة أسرار الحياة التي لا حد ولا انتهاء لها.

غاية الحياة هي أن يعرف الإنسان ذاته فيشعر بالمحيط الكوني ينبض في قلبه ويسري في عروقه ويغمر كيانه بالسلام والمحبة والفرح والطمأنينة.. وذلك هو النجاح الأعظم!  
المصدر: برمهنا يوغانندا

## من فلسفة الروح: شذور وبذور

انظروا الكون وكل ما هو حي ومتحرك على الأرض يعوم في بحر الله مثلما تعوم الأسماك في مياه المحيط. هجروا العارض العابر واعثروا على السرور في الأبدى الباقي، وانزعوا سموم الحقد والحسد من القلب، فلا تشتهوا ممتلكات الناس ولا ترغبوا بمقتنياتهم. واعلموا أن العمل في سبيل الله هو وحده من بين الأعمال الذي لا يقيد روح الإنسان ولا يشدها إلى الأرض حياة بعد حياة.

هناك مستويات من الوجود تسكنها غيلان و عفاريت ويخيم عليها ظلام دامس كثيف. وكل من ينكر الروح الإلهي ويخلق التهويش والتشويش يذهب إلى تلك السجون المظلمة بعد مفارقة الحياة. الروح الإلهي ثابت ومع ذلك فهو أسرع من الفكر. لا المدارك تبلغه ولا الحواس تقيدده. هو غير متحرك ومتحرك، قريب وبعيد، ظاهر ومحتجب.

من يعاين الكائنات في ذاته ويبصر ذاته في كل الكائنات يتحرر من كل المخاوف والهموم. عندما يبصر الحكيم الوحدة العظمى في الكون ويرى الكون وما فيه في ذاته تفارقه الأحزان ويتلاشى الوهم والخداع من سماء حياته.

إن وجه الحق يبقى محتجباً خلف دائرة من الذهب المشع. فأسألك يا رب الأنوار أن ترفع الحجاب علني أبصر نور الحق وأدرك حقيقة النور .

أيها الرب العظيم والعليم بكل شيء، خذ بيدنا وانقلنا من الظلمة إلى النور وحررنا من الأوهام والشرور.

من الذي أعطى الفكر القوة على التفكير والانتقال؟  
ومن الذي أطلق الحياة في مسيرتها اللامتناهية؟  
من الذي يلهمنا النطق بهذا الكلام؟  
وما هو ذلك الكائن خلف السمع والبصر؟

إنه أذن الأذن، وعين العين، وكلمة الكلمات، وفكر الأفكار وحياة الحياة.  
الساكنون على دروب الحكمة يتخطون حدود هذا العالم ويصبحون من الخالدين.

لا العين تبلغ تلك الأقطار السعيدة ولا العقل ولا الكلام. لا نعرف الكثير عن ذلك الكائن الأسمى ويصعب علينا  
تعليله. فهو يفوق المعلوم والمجهول. ذلك ما سمعناه من الحكماء الذين أطلعونا على هذه الحقائق.

ما هو ذلك الذي يعجز الكلام عن التعبير عنه إنما بفعله يُنطق الكلام؟  
الذي لا قدرة للعقل على التفكير به إنما بفعله يفكر العقل؟  
الذي لا تستطيع العين رؤيته إنما بقوته تبصر العين؟  
الذي تعجز الأذن عن سماع صوته إنما به تسمع الأصوات؟  
إنه الروح الإلهي الذي ليس له حدود والحال في كل ذرة من ذرات الوجود.

من يظن أنه يعرف لا يعرف كثيرا. فهو يدرك ما يقع ضمن مجال الحواس ليس أكثر. إنما الحقيقة العظمى تكمن  
خلف الحواس ولا يبلغها إلا الراسخون في علم التوحيد، المتمرسون في التأمل الصحيح.

الله يزور أفكار الذين يعرفون حق المعرفة أنه ما وراء حدود الفكر ولا يفقد الذين يظنون أن بمقدورهم معرفته  
عن طريق الفكر.

إنه مجهول للعلماء ومعروف لدى البسطاء.

إنه يُعرف بنشوة اليقظة التي تفتح الباب إلى البعد اللانهائي.

من يعرفه يعتمد بمياه الحكمة ويشرق عليه نور الحقيقة. والحكيم الذي يراه في كل شيء ويرى كل شيء فيه  
يبلغ الحياة الأبدية ويصبح من الخالدين.

المصدر The Upanishads



## اللاتهائي: قوى وقوانين

هناك حقيقة عظيمة في الكون تؤكد وجود الروح اللامحدود واللاتهائي خلف كل ما في الوجود. ذلك الروح هو  
الذي يبعث الحياة في كل شيء ويظهر من خلال كل الكائنات الحية والجامدة. ذلك المبدأ الكوني قائم بذاته، عنه  
انبثق الكون وما فيه ومنه بزغت وما زالت تبرز كل الموجودات.  
ما من شيء في الوجود دون مصدر. فحياة الإنسان مصدرها الحياة الكونية اللامتناهية، والحب الذي يشعر به  
الناس صادر عن حب أعظم هو الحب الإلهي. والعقل الذي يميز الإنسان عن باقي المخلوقات مصدره العقل  
الكوني. وذات الشيء ينطبق على السلام وعلى القوة وكل الأشياء المادية الأخرى.  
القوة اللامتناهية تخلق وتعمل وتضبط الخليقة بواسطة قوانين وقوى أبدية لا تخضع للتغيير أو التبديل أبد  
الدهر. وتلك القوى والقوانين تتخلل الكون الذي يحيط بنا من كل جانب. فكل عمل نقوم به وكل فكرة تعتمل في  
أذهاننا وكل حركة تصدر عنا خاضعة لتلك القوانين والقوى. وما من زهرة تزهر إلا وتنمو ثم تتفتح وتذبل طبقا  
لقوانين عظيمة ثابتة. وما من رقعة ثلج تتهادى بين السماء والأرض ثم تسقط وتذوب إلا بموجب قوانين لا  
تتغير.

وبالحقيقة لا يوجد شيء في الكون الكبير خارج نطاق الناموس الكوني. وهذا يحتم وجود كائن أعظم خلف كل  
تلك القوانين. ذلك الكائن هو صانع تلك القوانين وهو أعظم منها كلها ومن قوى الكون مجتمعة. وهذا الروح  
اللامحدود واللاتهائي الكائن والكامن خلف كل الموجودات هو الله. البعض يدعونه النور اللطيف، والبعض  
العناية الإلهية، وآخرون الروح الأعظم أو الكلي القدرة. لا يهم ما ندعوه ما دمنا متفقين على أنه الحقيقة  
المحورية العظمى في الوجود.

فالله إذاً هو هذا الروح اللاتهائي الذي يملأ الكون بذاته بحيث أن كل شيء في هذا الكون صادر عنه ويعوم فيه،

وليس من شيء واحد خارجاً عنه. ومن هذا المفهوم فإننا به نحيا ونتحرك لأن كياننا مرتبط به ارتباطاً مطلقاً. إنه حياة حياتنا ونستمد مقومات وجودنا من جوهره. ومع أننا نختلف عنه من حيث أننا نفوس مستفرجة في حين أنه كل لا يتجزأ يشملنا ويشمل كل ما في الوجود، لكن جوهرنا وجوهره واحد. فكيفنا لا يختلف عن كيان الله من حيث الجوهر أو النوعية، بل من حيث الدرجة فقط.

النقطة الجوهرية في هذه الفكرة هي المعرفة الواعية لوحدتنا مع تلك الحياة اللاهائية وضرورة فتح منافذ أرواحنا على مصراعها لذلك الفيض الإلهي. ومع ذلك الإدراك الحي لوحدتنا مع الحياة العظمى نحقق أنفسنا مع خواصها وقواها فنمتلك تلك الخواص وتلك القوى على قدر معرفتنا لاتحادنا الفعلي مع تلك الحياة الكونية.

وماذا يعني ذلك بالنسبة لنا؟ إنه يعني معرفتنا لذواتنا وانسجامنا مع القوانين والقوى الكونية. كما يعني استقبالننا للإلهامات العليا التي حصل عليها الأنبياء والأولياء والحكماء والمخلصون وكل العظماء والمعلمون الروحانيون على مر العصور. وعلى قدر اقترابنا من ذلك الإدراك وارتباطنا بالمصدر الكوني نفسح المجال للقوى العليا كي تعمل من أجلنا وتعرب عن ذاتها من خلالنا.

باستطاعتنا أن نوصد المنافذ في وجه ذلك الفيض القدسي فنمنع القوى العليا من الوصول إلينا ونعيش محاطين بالظلام والجهل اللذين من صنع أيدينا. أو بإمكاننا أن نفتح عقولنا وقلوبنا لتلك التيارات الكونية المباركة لتسري من خلالنا فتتغير حياتنا نحو الأفضل ونرتقي درجات على سلم الحياة فتصفو رؤيتنا ويتمدد وعينا ويشرق نور الله على عقولنا فلا نسير في الظلام ونتجنب العثرات والآلام.

وكلما اقترب الشخص خطوة من مصدر وجوده كلما أحس أنه أصبح أكثر انسجاماً وتوافقاً مع ذاته ومع مجتمعه. وهذا الإحساس يمنحه الرضاء الذاتي الذي يعتبر كنزاً من كنوز الحياة.

هذا الإدراك يساعد الإنسان تلقائياً على تحويل ضعفه إلى قوة وحزنه إلى فرح ومخاوفه إلى إيمان وأشواقه إلى معرفة يقينية. كما يساعده على امتلاك السلام والقوة والرخاء بفضل التناغم مع الخير الأعظم الذي هو الله. المصدر: معرفة الذات



### الفاتيكان: جولة تعريفية

الفاتيكان هو من أعظم قصور الدنيا وأروعها تصميماً. وبالإضافة إلى كونه المقر البابوي فإنه يشتمل على مكتبة قيمة ومجموعة ضخمة من الأعمال الفنية وعلى متاحف عديدة تضم قطعاً أثرية ثمينة ونادرة. الاسم مشتق من الكلمة اليونانية فاتيكانوس مونس أي تلة الفاتيكان. يقع القصر في الجزء الشمالي الغربي من مدينة روما بمحاذاة ساحة وكنيسة القديس بطرس حيث يعتقد بأنه نفس الموضع الذي صُلب ودفن فيه القديس بطرس. ونظراً لاقتران المكان باستشهاد الحواري الكبير فقد أصبح قبلة الحجاج الكاثوليك من كافة أنحاء العالم، ومن الطبيعي اختيار ذات الموضع ليكون مقراً لسكن البابا.

بدأ العمل بتشييد الفاتيكان في القرن الثاني عشر. وعلى مدى قرون قام العديد من الباباوات بتوسيعه وزخرفته بروائع الفن والتحف النادرة. لكنه لم يكرس مقراً باباويّاً إلى بعد عودة البابا من أفيغنون في نهاية القرن الرابع عشر.

يتميز القصر بشكله الطويل وبنائه غير المتناسق الذي تغطي مساحته قرابة الأربعة عشر فدناً، بما في ذلك الباحات والساحات المفتوحة التي تغطي حوالي ستة أفدنة وتشتمل على كنائس صغيرة ومكاتب وشقق سكن ومتاحف وغرف من كل الأنواع. أما مسكن البابا فيقع في الجزء الجنوبي الشرقي من المبنى.

المجالس الكنسية تعقد في الفاتيكان وانتخاب الباباوات يتم في كنيسة سيستين وهي من أجمل الحجرات التي تشتمل على أروع ما أنتجه الفنان العالمي الأشهر مايكل أنجلو من أعمال فنية فذة وفريدة.

كما يشتمل بهو الاستقبال البابوي على نماذج من أعمال عابرة آخرين من أمثال رافاييل ودا فينشي وتيتيان.

أما المتاحف فتشتمل على أروع التماثيل وأشهرها كتمثال أبولو بلغدير الذي يعود إلى القرن الرابع قبل الميلاد والمصنوع من الرخام الأبيض، وكذلك تمثال الكاهن الطروادي لآكون مع ولديه وهو يصارع أفاعي البحر.

كما تشتمل مكتبة الفاتيكان الكبرى التي يعود تأسيسها إلى القرن الخامس عشر على قرابة النصف مليون مجلد وعلى ما لا يقل عن ٥٠ ألف مخطوطة بعضها يعود إلى القرن الرابع الميلادي. وهناك أيضاً نسختان من

مخطوطة الإنيادة لأشهر شعراء الرومان فيرجيل، تعودان إلى القرنين الرابع والخامس الميلاديين. كما توجد أيضاً نسخة من كتاب الجمهورية لأعظم خطباء روما القديمة الفيلسوف الأشهر شيشرون .

وتشتمل المكتبة أيضاً على الأرشيف الباباوي وعلى محاضر للجلسات الباباوية منذ ألف عام ونيف.

بعد توحيد إيطاليا فقدت الباباوية كل سلطاتها الدنيوية التي كان الباباوات يتمتعون بها. ولغاية سنة ١٩٢٩ كان البابا لا يخرج إطلاقاً من حاضرة الفاتيكان وأصبحت سلطته مقتصرة على الأمور الروحية لا غير. بعد ذلك تم عقد اتفاقية بين البابا بيوس الحادي عشر والحكومة الإيطالية خولت بموجبها البابا بعض الصلاحيات المدنية إضافة إلى الدينية .

الفاتيكان يشرف على حمايته الحرس السويسري البابوي (إذ جميع أعضائه سويسريون) وهو تقليد متبع منذ قرون. أفراد الحرس يرتدون ثياباً مزخرفة فاخرة قام بتصميمها في الأصل مايكل أنجلو نفسه.



## الصيد والكاهن

في الهند القديمة، وفي قرية هادنة على ضفاف نهر الغانج، عاش رجل رقيق الحال لكن غني النفس، وكان يتكسب من صيد السمك وبيعه للقرويين.

من بين زبائنه كان كاهن القرية. ذلك الكاهن المخلص كان معروفاً بأساليبه الزلقة المراوغة الشبيهة بصيد السمك في البحر! وباختصار كان مكاراً لا يؤتمن إطلاقاً. ومع ذلك فكان يحب السمك ويشترى يوماً بالدين ما طاب له من الأسماك الطازجة من صاحبنا الصيد الأمين ويقول له " قيد على الحساب يا صياد."

ولكن عندما كان الصيد يبحث عن الكاهن لأخذ حقه منه كان يجد أن حضرته قد اختفى بقدرة قادر أو بحذق مكرر!

وذات يوم قابل الصيد الكاهن في الساحة العامة وجهاً لوجه فلم يتمكن هذا الأخير من الإفلات على جري عادته. فابتدره الصيد قائلاً:

"يا مولانا الكاهن، لماذا تتجنبني هكذا؟ يا ليتك تعلمني طريقة للمشي على الماء بحيث أتمكن من الوصول بحرية إلى الأماكن العميقة التي تعج بالأسماك الكبيرة حيث يسهل اصطيادها بالشباك. ولك مني عهد بأن أقدم لك كل يوم سمكة كبيرة تليق بمقامك هدية مجانية لحضرتك. وعلاوة على ذلك سأشطب كل الديون المترتبة عليك."

كانت تلك ساعة الرحمن بالنسبة للكاهن الذي كاد يطير فرحاً لتلك الكلمات الساذجة من الصيد الذي اعتبره قد فقد عقله. وكان الهم الأوحده لصاحب القداسة هو أن يصرف الصيد عنه بما أمكن من السرعة. فهمس في أذن الصيد المؤمن الأمين الكلمات التالية:

"يا بني، كل ما تحتاج لفعله هو أن تسمي بالله أولاً ثم تكتب اسمه المبارك ثلاث مرات بإصبعك على كف يدك، وعندئذ ستتمكن من السير على صفحة الغانج إلى أية بقعة تريدها وتصطاد ما شاء الله من الأسماك."

مرت أيام لم ير الصيد الكاهن خلالها لأنه كان ما زال يتحاشاه. أخيراً أفلح الصيد في لقائه وقدّم له سمكة من الحجم والوزن الثقيل قائلاً: "يا مولاي منذ مدة وأنا أحاول مقابلتك كي أمنحك بعض ما أفاض الله علي من نعمه بفضل أسلوبك الناجع الذي لقتته لي، ولكي أشطب أيضاً الديون القديمة المستحقة عليك. وبالفعل طريقتك كانت ناجحة وحدث ما أكدته لي بالضبط."

دهش حضرة الكاهن المتشكك عندما نظر إلى السمكة الكبيرة التي كان يحملها الصيد وقال: "كيف تمكنت من صيد سمكة كبيرة كهذه؟"

أجاب الصيد: "أطال الله عمرك يا مولاي، فقد فعلت تماماً كما طلبت مني. وكل يوم أصطاد عدداً كبيراً من السمك. أجل يا سيدي، لقد نجحت أخيراً في مسعاي بفضل بركاتك وطريقتك الموثوقة."

لم يصدق الكاهن أذنيه ولم يقو على تكذيب ما رآه أمام عينيه، فقال للصيد: "يا طويل العمر أريد أن أرى بنفسي كيف تسير على صفحة الماء."

وعلى الفور استعان الصيد باسم الله القدير وكتبه على كفه ثلاث مرات، وبكل بساطة، إنما بإيمان مطلق راح يمشي على صفحة النهر. بل وأمسك بيد الكاهن وأخذه معه فوق الماء. وكم كانت دهشة الكاهن كبيرة عندما

وجد نفسه يسير فعلا فوق الماء.

بعد قليل راحت المخاوف والشكوك تراود صديقنا الكاهن وخاف أن تتبلل أطراف رداءه الثمين بالماء. وما أن غاصت أفكار الإرتياب في نفسه حتى بدأ يغرق تدريجياً، وراح يصيح: "بعرضك يا صياد! أنقذني!"

فقال له الصياد: "يا مولانا لا يمكنك أن تمشي على الماء وبنفس الوقت تخاف من الغرق أو تخشى من أن يصيب ثيابك البلل. أنظر إلي كيف أمشي على سطح الماء بكل ثقة وإيمان".

وما أن قال ذلك حتى أعاد الصياد الكاهن المرتعد إلى ضفة النهر وتركه هناك ليتأمل على ضعفه وقله إيمانه بالله.



### باغانيني: نبوغ وقمار وغراميات

ولد نيكولو باغانيني في مدينة جنوة الإيطالية سنة ١٧٨٢ ويعتبره الكثير أعظم عازفي الكمان في كل الأزمان. تلقى دروساً في الموسيقى من والده قبل بلوغه سن السادسة وحصل فيما بعد على دروس خاصة من أفضل أساتذة الموسيقى في جنوة. في عام ١٧٩٥ ذهب إلى مدينة بارما الإيطالية لتحصيل المزيد لكن الأساتذة هناك أخبروه بأنهم لا يقدرّون على تلقينه شيء جديد لا يعرفه. بعد ذلك شرع بتدريب نفسه بنفسه متبعاً بذلك برنامجاً صارماً بحيث كان يعزف لخمس عشرة ساعة يومياً.

في عام ١٧٩٧ شرع في جولاته الموسيقية الشهيرة فتوالت نجاحاته على مدى سنين. وكان عزفه لمقطوعات رقيقة غاية في الروعة بحيث كان يستدر دموع الجمهور بكل سهولة. ومع ذلك كان يعزف أحياناً بقوة غير عادية وسرعة مذهلة مما كاد يفقد صواب أحد المستمعين الذي راح يؤكد وعلى مدى أيام بأنه رأى الشيطان يساعد الموسيقار في العزف.

أثناء جولاته تلك أدمن لعب القمار فخرس مبالغ طائلة مما اضطره في عام ١٨٠٠ إلى رهن كمانه. من عام ١٨٠١ إلى عام ١٨٠٤ عاش في توسكاني مع امرأة غنية وقعت في غرامه. بعدها قام بجولة أخرى وكسب أموالاً كثيرة. وقد طبقت شهرته الأفاق بحيث عمل أستاذاً في الموسيقى لشقيقة نابليون الأميرة لوكا.

في عام ١٨١٥ انتقل إلى مدينة فينيسيا (البندقية) حيث عاش على مدى ثلاثة عشر عاماً حياة غير منضبطة مع راقصة جميلة اسمها أنتونيا بيانشي أنجبت له ابنه سايروس الكزاندر في عام ١٨٢٥. ومع أنهما لم يكونا متزوجين فقد أهدق الكثير من العطف والحنان على وحيدته سايروس.

في عام ١٨٣١ ظهر في لندن فحاصره في الشارع جمهور غفير من المعجبين بحيث خصصت له السلطات كوكبة من الفرسان لمرافقته.

خلال ستة فصول من العزف جمع ما مقداره ٨٥ ألف دولار وربما جمع أكثر من ذلك أيضاً في جولاته في فرنسا (وتلك مبالغ خيالية في تلك الأيام).

خلال عامين ونصف من جولاته زار أكثر من أربعين مدينة أوروبية وعزف في كل واحدة منها .

لكن العمل المضني وحياة التبذير والسهر ألحقا ضرراً بالغاً بصحته بحيث أمضى سنيه الأخيرة في منزله بالقرب من مدينة بارما يعاني من آلام مبرحة.

وبالرغم من المبالغ الضخمة التي خسرها في القمار فقد ترك لابنه سايروس قرابة النصف مليون دولار. أما آتة المفضلة الكمان فقد أوصى بها إلى مدينة جنوة.

كانت حياة باغانيني مزيجاً من النجاح والإدمان الضار. وكما تقدم اضطر إحدى المرات لرهن كمانه بالرغم من أنه كان على موعد مع جمهوره مما حدا به لأن يستعير كماناً آخر من أحد أثرياء فرنسا كي يفي بالتزامه. بعد الإنتهاء من الحفلة حاول باغانيني إعادة الكمان لصاحبه لكنه رفض استرداده وأراد هدية للموسيقار العظيم.

كان باغانيني عبقرياً بامتياز وقد ألف العديد من مقطوعاته لعزفه الشخصي. بعض تلك المقطوعات كانت من الصعوبة بحيث اعتقد البعض أنه كان في حلف مع إبليس الذي كان يلهمه أعماله الخارقة.

لم يبق باغانيني بأي استعداد لحفلاته بعد سن الثلاثين بل كان يعزف مقطوعاته عفو الخاطر. المقربون منه كانت تذهلهم طريقتة في العزف بحيث كانوا يراقبونه عن كثب لمعرفة سر تلك العبقرية.

كثيراً ما كان يبتكر طرقاً غير تقليدية أثناء العزف فيستحوذ على الحضور استحواداً تاماً كما لو بفعل السحر. وبما أنه كان مقامراً محترفاً فقد حاول أن يفتح كازينو للقمار في باريس سنة ١٨٣٨ لكنه لم يفلح في ذلك. بعدها انتقل إلى مدينة مرسيليا الفرنسية ثم إلى مدينة نيس حيث توفي هناك سنة ١٨٤٠.

### أقوال في المناصب وأصحابها

قيمة الإنسان لا تكمن في المنصب الذي يحتله بل في الشرف واحترام الذات اللذين يملأ بهما ذلك المنصب.

المناصب العالية تُظهر المعدن الكريم لذوي النفوس الكبيرة مثلما تفضح الطفيليين الصغار وتظهرهم على حقيقتهم.

غالباً ما يتعرض المتطاولون لهزات عنيفة وخضات موجعة.

ما أروع صاحب ذلك المنصب الذي يبذل ما بوسعه لمساعدة الآخرين وما أخس أولئك الصغار الذين لا هم لهم سوى ترويع الناس ومحاولة إلحاق الأذى بهم تحت ذرائع مفتعلة ومن دون وجهة حق.

من يفكر أنه أعلى من منصبه هو بالحقيقة دون ذلك المنصب بكثير.

المكان الذي خصصته لنا العناية الإلهية هو المكان الأنسب بالنسبة لنا ويجب أن نقنع به ونملؤه بالأعمال الجليلة والتصرفات النبيلة .

لا يقمنا الله على ضوء المكانة التي نحتلها بل بالكيفية التي نملأ بها تلك المكانة.

المكانة والمكان لا يشرقا الإنسان بل يتشرفا به (ما دام شريفاً ونظيفاً).

النبيل الأصيل لا يلهث وراء المناصب ولا يفتخر بالتقرب من فلان أو التعرف على فليتان من مشاهير الناس، بل يرضى بما هو مؤهل للقيام به لمنفعة نفسه والآخرين. أما المتطفلون على الحياة وعلى الناس فلا يكفون عن الحديث عن اتصالاتهم بشخصيات "مهيبية ومرهوبة الجانب" في محاولة لإيهام الغير بأن (وراني فلان) فلا تغلطوا معي وإلا...!  
وفي هذا المقام يصح القول:

ويصغر في عين العظيم عظيمها  
وتعظم في عين الصغير الصغائر

محبو المناصب العالية محكومون بمن هم أعلى منهم ومستعبدون للشهرة ومقيدون بألف رباط بحيث لا يمتلكون متسعاً من الوقت لفحص أنفسهم وتنقيتها.

عزة النفس لا تُكتسب بالمناصب العالية ولا تُفقد مع فقدان تلك المناصب.

الأغنياء والأقوياء الذين يعتمدون على ثرائهم وسلطتهم سيواجهون قوانين الله الشبيهة بالشمس التي تسلط حرارتها القوية على الأغصان المتشامخة في حين تبقى الأغصان الصغيرة المتواضعة المتوارية بمنأى عن الأذى.

ليس من الصعب على النفوس الصغيرة أن تحصل على مراتب ومناصب عالية في حين تقوم العقبات في وجه النبلاء الشرفاء الذين يحاولون بلوغ المواقع الذين هم أكثر أهلية لها من سواهم.

المرتفعات الشاهقة باردة بطبيعتها وتسبب العزلة لمتسلقيها غير المتمرسين في الطرق الصحيحة لصعود الجبال. وكم من زلة قدم أو سوء تقدير أوديا بحياة المتطفلين على الذرى التي لم يُخلقوا لها.

### البركة: تعريف متواضع

البركة: هذه الكلمة سمعناها ونسمعها كثيراً. إذ كلنا نسمع ونستعمل عبارات مثل: على بركة الله.. والبركة في البكور أي الإستيقاظ المبكر.. والله بيارك.. ومبروك.. وولدت البركة.. وسبع بركات عليك.. و بركات ورس.. وغيرها.

الكلمة موجودة قاموسياً وداخلة في صميم الأدب الشعبي. فما هي تلك البركة؟ ولماذا يدعو الناس لبعضهم بها عندما يريدون الخير؟ أما إذا أرادوا عكس ذلك فقد يدعون على بعضهم وهذا غير ضروري أي ما له لزوم. البركة إذاً هي شيء معنوي أو روحي مرغوب فيه. وهي ذات فعالية وتتضمن نفعاً يؤمن به الكثير من الناس. وبعض هؤلاء المؤمنين بها هم على درجة عالية من الوعي والذكاء والقوة، مثلما يتمتعون بضمائر حية ونفوس أبية وعقول نفاذة لا يمكن القفز فوقها أو الإستهانة بها. ها قد قررنا شرعية المصطلح ووجود المؤمنين به ولنحاول الآن التعريف بهذا المصطلح المبارك.

البركة هي قوة روحية رحمانية مصدرها الله في الدرجة الأولى. كما يمكن توجيهها في مسارات معينة معروفة جيداً للعارفين بالله أو المتناغمين مع إرادته. فهؤلاء لهم القدرة على نقل تلك القوة (أو البركة) من مصدرها – الذي هم على تواصل معه – إلى من يطلبها بصدق وإيمان وإلا فلن تتم عملية النقل بنجاح مهما كان الناقل ضليعاً في علوم الروح وقوياً في التحكم بالطاقة الكونية.

وهذه البركة هي على درجات والشحنة منها تتوقف على مدى وعي الراغب في الحصول عليها. هناك من يرغب في البركة (أو القوة الروحية) طمعاً في صحة يريدها لنفسه ولمحببه أو في بحبوحة مستدامة أو في عمل أو صفقة أو أي شأن من شؤون الحياة الأخرى.

وهذه البركة تظهر تحت ظروف مواتية. الفكر هو عامل حاسم في تحصيل هذه القوة. فإن كان إيجابياً، مؤمناً حق الإيمان وذا نزعة خيرية، يحب للآخرين ما يحبه لنفسه ويمنح ما لديه بسخاء ورضاء تمكن من الإحساس بذلك التيار الخفي يسري في عروقه ويستقطب له تلقائياً موارد بشرية ومادية من حيث يدرى ولا يدرى.

الثراء المادي ليس دليلاً على البركة. إذ هناك الكثير من الأثرياء الذين لا يعرفون عن هذه القوة شيئاً ولا يريدوا أن يعترفوا بها لأنفسهم أو للآخرين. فلندعهم وشأنهم ولنركز على الصنف الآخر من المؤمنين بهذه الظاهرة التي لا يختلف عليها عاقلان مؤمنان.

المعلم برمهنا يوغانندا يقول أن من يتوجه بأفكاره كل يوم لمصدر الخيرات والبركات فيشكره من القلب على نعمه ويبنه محبة قلبه سيجد أن فيضاً من نعم الحياة يتوارد إليه دون انقطاع لأنه بتناغمه ذلك يكون قد ربط ذاته بالمصدر الأعظم الذي هو بحر زاخر من البركات والمدرجات العليا.

والله الذي هو مصدر الخير في الكون هو دائم العطاء لا سيما للذين لا يحتفظون بخيراته لأنفسهم فقط. وعلى قدر البذل في وجوه الخير يأتي المدد حتى يكون العطاء متواصلاً. وهذه إرادة الله وسنة الحياة. ولا بد أن أسلافنا القدامى قد أدركوا بفتنتهم وفطرتهم هذا القانون الذي لا يخطئ فابتكروا تعبيراً وجيزاً وبلغياً هو (الخير مرزوق). وهذه حقيقة أكيدة يشهد بها الكثير من أصحاب العقل الرشيد والرأي السديد.

ومع تأكيد الإنسان المتواصل لهويته الروحية سيجد أن خيرات الحياة تنجذب إليه بطريقة لا يمكن تعليها، وأن كل رغباته الطيبة تتحقق في نهاية المطاف حتى ولو انقطع الأمل في تحقيقها.

الله كريم ويحب الكرماء. ولن يغفل عن الواثقين بكرمه.. العاملين ما بوسعهم للحصول على نعمه. الإيمان الواعي شيء والإتكال العشوائي شيء آخر.

وكي لا نبتعد عن البركة نقول أن الرغبة في الحصول عليها دون توافر شروط محددة لا تكفي. وما عسى أن تكون تلك الشروط؟ إنها بسيطة وفعالة في نفس الوقت، وقد ذكرنا بعضها أعلاه.

البركة حقيقة مؤكدة ومعينها لا ينضب لأن مصدرها لا نهائي. العطشان في الصحراء يطلب الماء كأعز شيء

في الحياة بدافع حب البقاء. فإن قابل أحد المسافرين وكان لديه ماء سينهل بعض الجرعات وقد يروي ظمأه ما دام ذلك المسافر كريماً لا يحتفظ بالماء لنفسه فقط. إما إن قصد صاحبنا الظمان الواحة فعندئذ سيشرب حتى الإرتواء وسيتزود بما أمكنه منه لكي لا يظماً ثانية وليسعف الظامنين في حال صادفهم على الطريق الطويل وكانوا بحاجة إلى ماء الحياة. والله يوفقكم ويوفقتنا ويديم عليكم وعلينا نعمه وبركاته.

## أقوال في الظلم والظالمين

إن ظلمك أحدهم فلا تجزع ، بل اعلم علم اليقين أنه سيدفع ثمن ظلمه شقاءً وتعاسة وعدم توفيق مهما طال الزمن (فالله يمهّل ولا يمهّل).  
الظالم مهما كان جباراً عتياً، وحتى لو مشى الملايين في ركابه وقبّلوا أعتابه فهو الخاسر والمنكسر لأن قوات السماء له بالمرصاد ولن يفلت من ضرباتها المذلة وربما القاضية.  
الله رحيم وعادل وعينه لا تنام، وهو يعاقب الظالم بأن يجعله أكثر شقاءً وتألماً من المظلوم نفسه.  
أشد أنواع الظلم هي التي تتم باسم القوانين الجائرة والإصرار على تطبيقها بالقوة.  
ينجم الظلم إما عن هزيمة نفسية أو عن حقارة وصغار أو عن الإثنيين معا. وهو إما وليد التسرع أو وليد الخمول. فالمتعجلون والبطيئون نادراً ما يعدلون. والظالم إما أنه لا ينتظر أبداً أو ينتظر طويلاً حتى تسنح فرصته ويفعل فعلته الخسيسة.  
الكسب الحرام الناجم عن الظلم يشبه السهم الذي ينبغي سحبه نحو الخلف لإخراجه من اللحم فيسبب ما يسبب من آلام شديدة وعذاب عظيم، وإلا فسيفضي على حياة الجريح إن بقي في جسمه.

إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً. (هكذا وردت هذه الآية القرآنية الكريمة بالنص الإنكليزي في الصفحة ٢٩٤ من موسوعة الأفكار).

كل من يمتلك قوة الإرادة يسيء استخدامها ما لم يكن محباً للحق والفضيلة، سواء كان أميراً أم واحداً من عامة الشعب.

الظلم بكل صورته وأشكاله مخالف للإرادة الإلهية، وعلى هذا الأساس لا يمكن للظالم المستبد أن يهنأ بعيشه أو يرتاح باله لأن الله وأولياؤه وملائكته خصومه.

الظالم عدو نفسه. ومع أن صوت بوق الدعاية وطبل الطموح ومزمار القوة قد يطغى على صوت الضمير، لكن ذلك الصوت الحق سيصرخ في أذنيه يوماً ما فيرعبه ويحرمه لذة الراحة.

القوانين الجائرة هي أسوأ أنواع الظلم والاستبداد.

الظلم علامة واضحة من علامات الضعف البشري.

ما أتعب أولئك الذين يتلذذون بغرس الخوف والرهبنة في الناس بدلا من استمالتهم بالحب والعدل.

الظلم يترنح لأنه في سبيله إلى التخاذل والتهاوي عاجلاً أم آجلاً.  
(اتقوا الظلم فإن الظلم ظلامه يوم القيامة) حديث شريف

الظالم المستبد لا يعرف طعم الصداقة ولا يعرف معنى الحرية لأنه عبد لأهوانه الوضيعة فلا يهتم بما هو نبيل وجيل في الحياة.

الظالمون يفقدون احترام الناس لأنهم دون مستوى الاحترام.

الحاكم العادل هو الذي يعمل لا لمنفعة قلة قليلة متطفلة ومستفيدة، بل لصالح كل أفراد الشعب دون استثناء.

الظلم لا يعرف ديناً ولا رباً، ومن يتعدى على حقوق الناس هو مغتصب وينبغي التصدي له.

(وما من يد إلا يد الله فوقها  
ولا ظالم إلا سبيلى بأظلم.)

عصيان المستبد طاعة لله.

ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون .  
وما للظالمين من نصير.  
ومن يظلم منكم نذقه عذاباً كبيراً  
ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار.  
وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.  
إنه لا يحب الظالمين.

## الباطنية: ماهيتها

الباطنية هي تعبير يرمز إلى علوم خفية أو إلى العالم فوق الطبيعي المحجوب الذي تغلفه الأسرار.

الغاية من الدراسة الباطنية هي اكتساب معرفة الخفايا الغامضة والتحكم بقوى تفوق الملاحظة العادية. وهذه الدراسة تؤيدها النظرية القائلة أن أسرار الطبيعة هي لغز ينبغي حله على يد أولئك المكرسين والمؤهلين لمراحل كشف المحجوب. هذه الفكرة ناجمة عن الإعتقاد بامتلاك أشخاص معينين لقوى فريدة لا يمتلكها سواهم.

السعي في طلب العلوم الباطنية خاضع لمؤثرات عدة. هذه العلوم ظهرت بوادرها الأولى في الشرق، لا سيما في كل من بابل ومصر القديمة والهند. وتقوم على امتلاك مؤهلات وقوى تفوق الحواس البشرية. ومن تلك العلوم علم التنجيم الذي يشمل – بحسب ما يعتقد البعض – قراءة العلامات والتحكم بأقدار البشر. وهناك أيضاً علم آخر احتل مكاناً بارزاً في نفوس العلماء الكلاسيكيين وهو علم الكيمياء القديمة الذي كان يُعتقد أن له القدرة على تحويل المعادن الخسيسة إلى عناصر نفيسة، لا سيما الذهب.

وهكذا نجد أن علم الكيمياء وعلم التنجيم كانا مواكبين في تطورهما لعلم الروح. والغاية من هذه العلوم هي معرفة أسرار القوى الخفية، ربما بمساعدة الأرواح. ومن هنا كانت العلوم الباطنية.

تلك العلوم كانت تركز على الأعراف والتقاليد وتكريس التلاميذ في الأسرار الروحية وقد مرت بمراحل متعددة وخضعت لتعديلات وتطويرات شتى على مدى قرون. مثال على ذلك مذهب الثيوصوفي الذي كانت مدام بلافاتسكي أحد أركانه في العصر الحديث. فقد تمكنت من تحديث الفكرة الروحية وتمييز مستويات رفيعة من الوجود ومراحل من التطور الروحي لبلوغ تلك المستويات وفهم ما تنطوي عليه من معان وقوى وأسرار.

أما البرهان التطبيقي للعلم الروحي الحديث فيكمن في طبيعة المعجزات الخارقة للقوانين الطبيعية. مثال على ذلك النقل الفوري للرسائل من أمكنة بعيدة، والإجابة على أسئلة مختومة.. الخ.

الطبيعة الباطنية للفكر تنسجم مع الممارسات القديمة ذات الصلة بعالم الأرواح وطبيعة الكون بحسب ما كان يعتقد فلاسفة العصور الوسطى والمتصوفة الشرقيون.

وبالإضافة إلى علم التنجيم وعلم الكيمياء القديمة فهناك علوم أو فروع أخرى ذات صلة بالباطنية، مثل الجلاء البصري وتحضير الأرواح وطرد العفاريت والشياطين والكهانة والشفاء بالإيمان والتنويم المغناطيسي والوساطة الروحية والسحر والإستحواذ وقراءة الأفكار والتنبؤ بالمستقبل عن طريق الاتصال بالأرواح وقراءة الكف وعلم قيافة الدماغ أي تقييم شخصية المرء أو قدراته العقلية من خلال دراسة شكل الجمجمة، وعلم الفراسة أو السيمياء عن طريق دراسة ملامح الوجه وتقاطيعه، والبحوث السيكلوجية والتحليل النفسي والوعي الباطن والإيحاء وتخاطر الأفكار والغيبوية .

تلك نبذة عن الباطنية التقليدية. وهناك علوم روحية أكثر عمقاً وأعم فائدة هي العلوم الإلهية التي تسمو على باقي العلوم الأخرى لاقتربانها الوثيق بالله مصدر كل علم ومعرفة.



## مع الخالدين: موتزارت

وُلد الموسيقار الألماني يوهان وولفغانغ أماديوس موزارت سنة ١٧٥٦ في مدينة سالزبورغ. في الثانية من عمره أظهر ميلاً فطرياً واهتماماً كبيراً بالدروس الموسيقية التي كان والده يلقنها لابنته نانرل. وقد لاحظ والده تلك الرغبة الملحة في ابنه فراح يلقنه أصول الموسيقى أيضاً. وفي سن الثالثة كان يحصل على درس يومي مدته ساعة كاملة.

في سن الخامسة راح يولف مقطوعات قصيرة لكي تعزف على آلة الهاربسيكورد. وفي سن السادسة عزف أمام الهيئة الموسيقية في ميونخ وكذلك في فيينا بحضرة ماريا تاريزا امبراطورة النمسا.

عندما بلغ سن السابعة عزف أمام الأسرة الملكية في كل من فرساي وباريس. بعد ذلك ذهب مع والده إلى بريطانيا وعزف أمام الملكة شارلوت. وفي بريطانيا ألف سيمفونيته الأولى التي أذهلت الجمعية الملكية نظراً لمعرفته العميقة بالموسيقى وأسرارها. وقد عقدت الدهشة لسنة أساتذة الجامعات الأوروبية وهو يقوم أحياناً بتنويجات تلقائية على بعض النغمات ثم يأخذ عصا والده ويجعل منها حصاناً يركبه ويخب به في القاعة الملكية.

بعد ذلك طلب رئيس أساقفة سالزبورغ من والده كي يعود مع ابنه إلى المدينة ولدى عودتهما وضع الإبن في غرفة منعزلة وقد أقفل بابها وطلب منه تأليف أوراتوريو (نشيد ديني يتم أدائه بأصوات فردية مصحوبة بجوقة وفرقة موسيقية) وقد فعل ذلك ليبرهن أن الإبن ليس نابغة كما يشاع عنه بل أن شهرته تقوم أصلاً على النفاق والتضليل. لكن المحروس يوهان ألف المقطوعة مؤكداً بذلك لغبطة البطيريك أنه قدها وقود! وبعد ذلك بأسابيع قليلة تم عزف الأوراتوريو في كنيسة صاحب الغبطة نفسه!

في العام ١٧٦٩ قصد الصبي إيطاليا ليتعلم بعض الموسيقى الإيطالية وقد عزف أمام الجماهير المنذهلة في كل من ميلانو وبولونيا وفيرونا ونابولي وروما ثم حصل على لقب كافالير من الحبر الأعظم نفسه إضافة إلى وسام المهماز الذهبي وهي تكريمات لا تمنح إلى للعظماء والنبلاء.

وفي ميلانو أيضاً قام بعمل فذ لا نظير له، إذ دون من الذاكرة المقطوعة الموسيقية (ميزاريري) الخاصة بقداسة البابا التي يحظر إخراج نسخ منها من الكنيسة البابوية.

في ميلانو ألف أوبرا ميتريداتي وعمره لا يتجاوز الأربعة عشر عاماً، فتم إنشادها على مدى عشرين ليلة متوالية دون توقف. وفي عام ١٧٧٥ ألف أوبرا في كارنيفال ميونيخ وكل مقطع منها كان يقابل بتصفيق حاد وحماس منقطع النظير.

في سن الثانية والعشرين ذهب إلى مدينة مانهايم الألمانية وشرع بالتدريس والتأليف، حيث بدأت مآسي حياته تتبدى له. سكن مع إحدى العائلات وهام بحب الإبنة ألويسا التي كان يدرّبها كي تصبح مغنية أوبرا. بعد ذلك

بقليل ذهب إلى باريس بصحبة والدته حيث راح يعمل بجد واجتهاد. فجأة توفيت أمه فعاد موزارت إلى مانهيم ليكون قرب حبيبته. لكنه وجدها قد أصابت حظاً من نجاح بفضل تعليمه لها فشمخت بأنفها وتكبرت عليه فلم تستقبله، فعاد إلى مسقط رأسه سالزبورغ والحزن ينهش قلبه حيث أَلَف بعض القداسات والأوبرات.

في سن السادسة والعشرين عاد إلى فيينا فتعرف على كوستانزا شقيقة حبيبته الأولى ألويسيا فتزوجها بالرغم من معارضة والده لذلك الزواج.

بعد زواجه وعلى مدى حوالي العشر سنين راح يكدح ليل نهار في التعليم والتأليف وإحياء الحفلات الموسيقية بسرعة عجيبة. أما زوجته التي يقال بأنها كانت أنانية، سقيمة ومتفوقة فقد نغصت عليه حياته وأرهقته بالديون. وكانت تقيس نجاحه بمقدار المال الذي يكسبه. وفي خضم تلك التجارب الصعبة ألف أعظم أوبراته مثل فيغارو والغلوت السحري ودون جيواني التي لن تفقد شعبيتها ما دام على الأرض أناس يتذوقون الموسيقى الراقية ويعرفون قيمتها.

همه الأوحاد كان التحرر من ديونه الباهظة فواصل العمل حتى أصيب بالإعياء وراح يشعر بدنو أجله وهو في سن الخامسة والثلاثين.

في عامه الأخير أتى إليه أحد النبلاء النمساويين وعرض عليه مبلغاً من المال لقاء تأليف مقطوعة جنازية دون أن يشرح له السبب من وراء طلبه ذلك. قبل موزارت العرض وشرع في العمل. لكن الوهن راح يذب في أوصاله ومع ذلك فقد جاهد نفسه لإنهاء تلك المعروفة المحزنة التي كان الغرض منها في الأساس أن تعزف في جنازته دون أن يخطر له ذلك على بال.

في خريف ١٧٩١ ولدى عودته من إحدى جولات عمله لاحظت زوجته الذبول غير العادي الذي اعتراه والضعف الذي ألم به فحاولت إسعافه لكن دون جدوى. إذ في الخامس من كانون الأول ١٧٩١ وبينما كان يشرح الطريقة التي ينبغي أن يعزف بها اللحن الجنازي غاص في وسادته وفارق الحياة.

لقد كان على درجة كبيرة من الفقر بحيث أن جنازته كانت غاية في البساطة. وبما أن يوم وفاته كان مطراً وعاصفاً فلم يشيعه أحد من أصدقائه إلى مقبرة الفقراء.

مرت فترة لم تزر خلالها زوجته المقبرة، ولما ذهبت لزيارة قبره وجدت أن حفار القبور قد نبش قبر زوجها ورفع عظامه من القبر ليدفن فقير آخر مكانه.

فيما بعد تم تشييد نصيب تذكاري فخم له فوق ضريح فارغ لأن أحداً لا يعلم أين ذهبت رفات العبقري الخالد موزارت.



## السنديان رمز العز والعزيمة

تلك الأشجار الرائعة التي أطلق عليها الشاعر درايدن إسم جبابرة الغابة، كانت ولم تزال رمز القوة والثبات والجبروت حيث تقف شامخة متحدية في وجه العصور والأعاصير. ولطالما استخدمها الشعراء في قصائدهم الحماسية التي مجدوا بها أبطالهم مستخدمين عبارات مثل (أهلا أبطال الميدان.. يا قلوب السنديان!) وهناك أدباء استعملوا أيضاً كلمة السنديان لتشجيع البشرية على مواجهة الحياة بما فيها من صعاب وعقبات. مثال على ذلك (السنديانة الجبارة تنمو من حبة بلوط صغيرة). أما الشاعر شورلي فيشيد بروائع السنديان وعظمتته على هذا النحو:

هيا ننشد يا إخوان  
لأشجار السنديان  
سادت الغابة العظيمة  
منذ أقدم الأزمان  
لها أذرعٌ قوية

ورؤوس كالتيجان  
فيها عزّ وإباء  
فيها كل العفوان  
وبها أيضاً إرادة  
وعزيمة كالصوان

إنها البلوطة (البذرة) التي تميز السنديانة عن باقي الشجر. معظم أشجار السنديان تُعرف بأوراقها. ولكن هناك أنواعاً من السنديان لها أوراق رقيقة ذات حوافٍ ملساء (غير شائكة). السنديان بطيء النمو ولا يحمل ثمراً إلا بعد عشرين عاماً! لب البلوط يكون أحياناً حلواً وأحياناً شديد المرارة. في الجزء الجنوبي من أوروبا يتم سلق البلوط وأكله، وفي بعض المناطق يؤكل مشوياً أو محمصاً. ما عدا ذلك فإنه يقدم علفاً للحيوانات.

خشب السنديان يعتبر من أصلب الأخشاب وقد استخدمه الناس على مر العصور. فحرايب إدوارد المعترف المصنوع من خشب السنديان عمره قرابة الألف عام وما زال بحالة جيدة. وبما أن خشب السنديان بطيء النمو فهو أيضاً بطيء التآكل حتى ولو تم تعريضه للرطوبة والجفاف بشكل متواصل. ومن هذه الناحية فهو شبيه بشجر الماهوغني الصلب الأحمر المستعمل في صنع الأثاث، وكذلك بشجر الورد ذي الخشب العطري وبالابنوس.

قبل اكتشاف الفولاذ كان خشب السنديان هو المعول عليه في صناعة السفن. أما اليوم فيستعمل أكثر ما يستعمل لرونقه ومنظره البديع.

في سالف الأزمان اعتبر الدردز شجر السنديان مقدساً. بل وهناك بعض أشجار السنديان التي يقال أن ملوك السكسون قد عايشوها ورأوها منذ أكثر من ألف عام! إحدى تلك الأشجار موجودة في مدينة غلوسسترشاير ويبلغ قطر جذعها حوالي الخمسين قدماً. يتراوح متوسط عمر شجرة السنديان حوالي الثلاثمائة سنة.

تتواجد فصيلة السنديان في الكثير من البلدان، من جزر الملايو وحتى الصين ومن جبال الهملايا وحتى بلاد القوقاز. كما أن السنديان موجود أيضاً في معظم البلدان الأوروبية وحتى الدائرة القطبية. أما في أميركا الشمالية فيتواجد بكثرة، مثلما يوجد في أميركا الجنوبية وحتى جبال الأنديز.

السنديان الأبيض يتواجد أكثر ما يتواجد في أميركا الشمالية ويعتبر من أعظم الفصائل إذ يبلغ ارتفاع السنديانة خمسين متراً وقطر جذعها ثلاثة أمتار. أما أوراقه فهي عريضة ورقيقة، يتحول لونها الأخضر في فصل الخريف إلى لون أحمر زاهٍ مما يجعلها بهجة للنظر. وهذه الألوان الخريفية الرائعة لفصائل عديدة من الأشجار هي سمة مميزة لولاية ميشيغان الأمريكية، إذ تبرز الطبيعة في الخريف لوحاتها الطبيعية ذات الألوان الخلابة المتناسقة والناضجة بالحياة والحيوية.

يتواجد السنديان الأبيض من كندا وحتى خليج المكسيك ولغاية ولاية تكساس. في الغابات الكثيفة تنمو الأغصان متقاربة من بعضها عند التاج، أما في المساحات ذات الفضاءات فتتنمو الشجرة وتمتد أغصانها وفروعها بشكل مهيب يوحي بالروعة ويبعث على الإحترام.

السنديان الأمريكي الأسود يتواجد في ولايات وين وفلوريدا ومينيسوتا وكانساس. وهذا السنديان له أوراق عريضة وذات حواشٍ شوكية. أما الشكل الخارجي للورقة فهو أخضر صقيل في الصيف يتحول إلى أصفر ضارب إلى البني في الخريف.

وبالإضافة إلى الإستعمالات المتعددة لخشب السنديان فإن قشرته تستعمل أيضاً في الدباغة وفي صنع الفلين.

وليس آخراً فقد علمنا أن أختنا الأستاذة جميلة كنعان من الرحي قد أصدر ديواناً بعنوان (حفيف السنديان) نهنته عليه ونأمل في الحصول على نسخة منه. وللذين لا يعرفون الأستاذة جميلة فهو خطيب قدير وشاعر رقيق ملأت أشعاره الصحف الجزائرية في فترة من الزمن عندما عمل مدرساً في الجزائر.

## الزهد: تعريف عصري

كثيراً ما يزهد الناس بالزهد نظراً لما ينطوي مفهومه التقليدي على حرمان للنفس من مشتبهاتها وإرغام لها على القبول بما ليست هي راغبة فيه. فكرة الزهد لم تبرز من فراغ بل تقوم على أسس منطقية سننترق إليها في حديثنا هذا. ولكن ما ينبغي أخذه في الاعتبار هنا أن ما كان ينطبق على الراغبين في الزهد منذ مئات أو آلاف السنين وما كان مناسباً لظروفهم

ونمط معيشتهم آنذاك لم يعد كذلك في وقتنا الحاضر وظروفنا الراهنة. لا يمكننا شطب الفكرة من قاموس الروحيات وفي نفس الوقت ليس بالمستطاع تطبيقها تطبيقاً حرفياً في يوم الناس هذا. فالظروف تغيرت ومتطلبات الحياة لا تسمح بالتخلي عن أساسيات العيش وضرورياته. فكرة الزهد هي في الأصل عدم التعلق أو التشبث بالأشياء المادية التي سيضطر الإنسان للتخلي عنها طوعاً واختياراً أو قسراً وإجباراً عندما لا يعود قادراً على التصرف أو التحكم بها كما يشتهي ومثلما يريد. لو نحن استبدلنا كلمة (الزهد) بعبارة (عدم التعلق) لأصبح وقعها أخف على النفس وأكثر تقبلاً. ولعل المفهوم التقليدي الصارم للزهد يثبط الهمم ويضع عائقاً نفسياً أمام الراغبين في التجربة أو الحياة الروحية. لقد عرفنا ونعرف أشخاصاً أثرياء أنعم الله عليهم بالدين والدنيا. وهم يعيشون حياة متوازنة لا يطنى فيها الجانب المادي على الروحي ولا الروحي على المادي.

وبالرغم من ثرائهم الواسع لكنهم غير متعلقين بالمال. وهناك صديق لنا يتحدث بنعمة ربه ويقول بأنه مليونير. هذا الصديق روحي الميول ولا يغفل تأملاته وممارساته الروحية يوماً واحداً. أما أسلوب حياته فهو غاية في البساطة. بل ويبدو شخصاً عادياً لا يختلف عن غيره من حيث الملبس أو المأكل أو السيارة التي يقودها. وقد قال لي أن المال عندما يفيض عن حاجات الإنسان الضرورية يصبح فكرة مجردة أو أرقاماً على الورق ليس أكثر.

وهناك الكثير من الأثرياء الزاهدين (كثر الله من أمثالهم) ممن يعتبرون أن ما حصلوا عليه هو أمانة في أعناقهم وأنهم وكلاء على أموالهم التي فيها حق معلوم للسائل وللمحروم.

وبعد هذا التعريف للزهد يطيب لنا أن نتطرق إلى نظرات المعلمين والمريدين لهذه الفكرة القديمة التي تقبل أكثر من تأويل. فالبعض يعتبرها التخلي عن الشوائب الذاتية التي تحول دون بزوغ ونمو الوعي الروحي. وأن التخلص من تلك الشوائب يغسل القلب ويحرر النفس من القيود والتعلقات الشخصية ويضع بين يديها كنوز الحب والحكمة والقوة والغنى الروحي والسلام النفسي.

بعض الناس يزهدون حتى في الأمور المعنوية من جاه ووجاهة وصيت وشهرة ويقتنعون بالتوجه لله بأفكارهم وآمالهم ومشاعرهم وأعمالهم ويدركون أن الإخلاص في الطريق الروحي هو سبيل الخلاص والوجد يوصل إلى المجد.

وهناك من يزهدون بالكبرياء ويترفعون عن مداومة العيش في طبيعتهم الدنيا وسط الأوحال والأثقال التي لا تليق بالنفوس التواقة والقلوب المشتاقة.

والبعض يعتبر أن الترك النفسي هو أفعال وسيلة للتخلص من الهموم والأحزان التي تكسف شمس السعادة فلا ينفذ نورها الشافي إلى زوايا القلب وحجرات النفس.

هناك قصة عن طفل أدخل يده في وعاء زجاجي ضيق الفوهة فيه ملبس على قضامة، وأخذ ملء قبضة يده من تلك الحلوى الطيبة فلم يستطع إخراج يده من فوهة الوعاء. وقد حاول أهله إقناعه بترك الملبس ليتمكن من إخراج يده من (القطرميز)، لكن المحروس كان قوي الإرادة ومغرم بذلك الصيد الثمين فلم يلق بالال للتهديد أو الوعيد، بل ظل متشبثاً بالغنيمة.

وفجأة حضر أحد الأذكىاء وعندما أدرك ورطة الطفل وحيرة والديه عرض عليه قطعة من الشوكولاتة، فما كان من الغالي إلا وترك ملبساته فتمكن من إخراج يده بكل سهولة من الوعاء. وهذه الحادثة البسيطة يمكن أن تلقي الضوء على فكرة الزهد أو عدم التعلق التي نحن بصدددها. فالطفل الذي تشبث بالملبس فعل ذلك بدافع الرغبة القوية لكن في نفس الوقت حرم نفسه من التمتع بما في يده. ولم يتمكن من استعادة حريره واستعمال يده إلا بعد التخلص مما في قبضته. وبالطبع لم يكن ليترك ما في يده لولا قطعة الشوكولاتة التي اعتبرها بفضل التمييز أشهى مما في القطرميز.

وبالمثل ليس من المنطق أن نطلب من الآخرين أن يتركوا شيئاً أو أشياء أو يزهدوا بأمر أو أمور دون التعويض عليهم بما هو أنجع وأنفع من ذلك الشيء الذي تخلوا عنه. عندما يدرك الإنسان أنه بالتخلي عن أشياء غير صحية بالنسبة له سيحصل على أمور أفضل من تلك التي تركها وشأنها، عندئذ سيصبح للزهد معنى وقيمة. ما عدا ذلك لا قيمة للزهد ولا فائدة منه حتى ولو حفظ صاحبه ديوان أبي العتاهية عن ظهر قلب.

## الخرافات: من هم المتحررون من سلطانها

الدين هو عبادة موجهة إلى الله أما الخرافات فهي تدنيس لتلك العبادة. ما نغنيه بالخرافات هو التدليس والنفاق في محاولة عقيمة لإرضاء الله والحصول على هباته دون الامتثال

لقوانينه أو العمل بأوامره ونواهيه.  
الخُرَافَات تولدُ فينا المشاعر المريرة المحزنة في حين يلهمنا الدين الحق اليقين والأفكار السامية. المؤمن بالخُرَافَات يرفع كائنات أخط منه إلى مستوى الآلهة.  
الخُرَافَات هي خوف غير مبرر من الله أما الفهم الصحيح للدين فهو عبادة منطقية وحقيقية للرب.  
الخُرَافَات هي طريقة العبادة الوحيدة التي تقدر عليها النفوس غير المستنيرة.  
كلنا موسومون من المهد بعبادات ومعتقدات قومنًا. قد تبدو الموثرات سطحية لكنها ضاربة في أعماق الوعي ولا يمكن اجتثاثها أو محوها بسهولة. ليس من السهل تحرير شخص من المخاوف المغروسة والمغروزة في خياله، مهما حاول عقله أن يلفظ تلك المخاوف من وعيه الباطن.  
إن الطفل الذي يتم تلقينه الاعتقاد بأن بعض الأحداث هي بشير خير وغيرها فال شر، أو بأن بعض أيام الأسبوع تجلب السعد أكثر من سواها ينمو بعقلية مثلومة وأسرته هي الملومة .

المناهضون للخُرَافَات غالباً ما يجدون أنفسهم في قبضتها. فلو أحببتُ كلَ الألوان ما عدا اللون الأسود لكنتُ مؤمناً بخُرَافة اللون الأسود. وما ينطبق على الألوان والأيام ينطبق على الأرقام .

لو قرأتَ سيرة حياة الملحدِين الجاحدين للدين لوجدتهم دون استثناء يؤمنون بالأشباح والكوابيس.

للخُرَافَات سلطان رهيب على عقل الإنسان، ولأنها تعمل من خلال خياله وأوهامه فإنه يبصر في كل شيء رسالة له بحيث أن نجوم السماء تهدده ودعوة الشحاذ له بالخير تضمن له استحقاقات ذات شأن والحظ يلعب دوراً كبيراً في حياته و(يا نصيب اضرب وصيب)!

من الأفضل أن لا نمتلك أية فكرة عن الله من أن تكون فكرتنا عنه غير لائقة به. لأن الأولى هي محض عدم اعتقاد في حين أن الثانية هي وقاحة متعجرفة وتجديف على المقدسات.

الخُرَافَات متصلة اتصالاً وثيقاً بطبيعة الإنسان الفطرية والفكرية. وعندما نظن أننا أفلحنا في اجتثاث جذورها من تربة النفس تمتد بكيفية غريبة عجيبة إلى شقوق وزوايا خفية بحيث ما أن تشعر أنها آمنة مطمئنة إلا وتطل برأسها دفعة واحدة بما معناه: (دائماً معاك دائماً)..

الخُرَافَات ليس مغالاة في ممارسة الدين ولا إفراطاً في الشعور الديني، بل هي توجيه مغلوط لذلك الشعور والانحراف به عن مساره الصحيح.

الأفكار الحرة منفتحة على القناعات وقادرة على التحسين والسعي نحو الأفضل لأنها غير مكبلة بأصفاة الخُرَافَات والأوهام الثقيلة.

عندما يحاول القرد تقليد الإنسان يزداد مسخاً وتشويهاً، وهذا ينطبق أيضاً على الخُرَافَات التي تحاول محاكاة الدين القويم.

الضعف والخوف والسوداوية، وفوقها الجهل، هي أصل ومنبع كل الخُرَافَات والمعتقدات الباطلة.

الخُرَافَات في معظم الحالات هي ظل الحقائق الكبرى.

الخُرَافَات هي من أثقل الأعباء في العالم، والتحرر منها يجعل السير سهلاً وسلساً على دروب الحياة.

المعتقدون بالخُرَافَات هم مقامرون خاسرون، يدفعون شئنا ما فيحصلون على لا شيء (تشبهاً بالفطين ياسين الذي يبيع بالخسارة كي يكسب زبائن!)  
وعليكم السلام

## الإيمان صانع المعجزات

حدثت هذه القصة لشخص اسمه برايون روبرتس الذي رواها على النحو التالي:  
الثامن من تموز ١٩٨٦ كان بالنسبة لي يوماً مشهوداً، ليس كباقي الأيام. فلسبب ما استيقظت قبل موعد استيقاظي العادي بفترة طويلة، وفجأة راح المنزل المتنقل الذي أسكن فيه يهتز. للوهلة الأولى فكرت أن بعض أصدقائي يمزحون معي، ثم تذكرت أنني أعيش في ولاية كاليفورنيا، فالاهتزاز كان ناجماً عن هزة أرضية خفيفة. ولكن ما أن توقف الاهتزاز حتى انتابني شعور قابض غامض ينذر بحدوث ما قد لا تحمد عقباه. ليس من السهل وصف ذلك الشعور بدقة، إنما عندما أويت ثانية إلى فراشي لم أتمكن من الإغفاء بفعل هواجس غير عادية.

أشرقت الشمس لكن ذلك الشعور لم يفارقني، بل كان لا يزال يلغني ويغلفني بقوة. تأملت ثم تناولت الفطور

محاولاً كل الوقت التغلب على مخاوفي وقلت في نفسي "ربما هذا الشعور هو ردة فعل لتلك الهزة الأرضية." وما أن بدأت يومي حتى أزاحت مشاغل النهار ذلك الإحساس من نفسي .  
إنني أعمل في مزرعة لاستنبات الأعشاب الطبية في جنوب كاليفورنيا وكان عملي الأول هو قيادة السيارة إلى إحدى المستنبات الزجاجية لأخذ الطلبات وتوزيعها على الزبائن.

وعلى جري عادتي انطلقت بعربة الفان باتجاه مدينة إسكنديدو الواقعة وسط المرتفعات الجبلية. لكن هذه المرة كانت بداية لرحلة يصعب نسيانها.

الطريق إلى المدينة يتعرج عبر التلال والوديان في تلك المنطقة شبه الريفية. وما أن اقتربت من منعطف حاد حتى وقعت الواقعة. إذ فجأة وبمثل لمح البصر رأيت شاحنة ضخمة من شاحنات جمع القمامة منطلقة كالسهم باتجاهي، فأدركت أن السائق قد فقد السيطرة على الشاحنة. على ما يبدو أنه أمال عجلة القيادة إلى اليسار في محاولة للبقاء على الطريق لكنها كانت محاولة عقيمة إذ واصلت الشاحنة - البالغ وزنها حوالي العشرين طناً - انطلاقها الهادر باتجاهي، بسرعة مميتة.

ضغطت بكل قوتي على الفرامل وحاولت تفادي التصادم مع الشاحنة لكن ذلك كان مستحيلًا. وبالرغم من ذلك لم أشعر بالخوف ولم تنتابني مشاعر الغضب أو الاستياء. الشعور الطاعني الذي أحسست به هو أن ساعتني قد اقتربت. وبدافع غريزي انبطح جسمي فوق المقعد وقلت: "يا رب توكلت عليك وحياتي بين يديك".

الشاحنة ذات العشرين طناً حطمت عربتي بقرقرة هائلة. تطاير الزجاج في كل اتجاه والتوى الفولاذ واستقرت الشاحنة فوق عربتي التي ضغط سطحها بقوة فوق مما جعلني أغوص في مقعدي. أما ساقاي فقد علقتا تحت عجلة القيادة ذات الأجزاء المتداخلة فأحسست بألم شديد. وفجأة توقف العجيج والضجيج وقضى الأمر.

الفكرة الأولى التي راودتني كانت "يبدو أنني ما زلت حيا!" كنت مضغوطاً داخل ما يشبه علب معدنية مهشمة ضمن مجال ضيق بالكاد يتسع لجسمي. كان الموضع ضيقاً بشكل رهيب بحيث بالكاد تمكنت من التنفس، لكنني كنت لا أزال على قيد الحياة. في البداية شعرت بألم حاد في ساقتي لكن ذلك الشعور زال تدريجياً وخطر ببالي أنني سأفقدهما. الشيء الذي أدهشني هو أنني بالرغم من كل ما حدث لم يتطرق الخوف إلى قلبي، بل شعرت أن كل شيء سيكون على ما يرام. أحسست أنني لست وحيداً. ولولا إيماني بالله لكنت بكل تأكيد قضيت من هول الحادثة وشدة الرعب.

بعد لحظات من الحادث سمعت صوتاً ينادي: "هل أنت بخير؟"

كان ذلك صوت أحد رجال البوليس وكان على ما يبدو يقود سيارته خلفي آنذاك، وقد رأى الحادث. أجبته بصوت خافت "نعم أنا بخير" فأطلق صوتاً فيه ما فيه من الدهشة، وكان قد بعث برسالة عبر الراديو إلى فريق الإسعاف يخبرهم بالحادثة ويأمن هناك من قضاوا بفعل الاصطدام.

بعد قليل دوت صفارات الإنذار تعلن عن وصول فريق النجدة مع أدوات قص الفولاذ. أول ما فعلوه هو قص السطح ورفع عني ثم رفع عجلة القيادة عن ساقتي. استغرقت العملية نصف ساعة بكاملها، وخلال تلك الفترة كان أعضاء الفريق الطبي يسألونني المرة تلو الأخرى: "ما هو إسمك، وأي يوم من الأسبوع هو اليوم؟" إذ ظنوا أنني أصبت إصابة بالغة وكان مهم الوحيد إبقائي واعياً. فأجبتهم المرة تلو الأخرى أن إسمي هو برايون واليوم هو الثلاثاء. وبالرغم مما أنا فيه كنت أؤكد لنفسني أن الله هو الذي حماني وأبقى على حياتي.

تم نقلي بطائرة هليكوبتر إلى المستشفى حيث كان فريق التعامل مع الصدمات العاطفية العنيفة بكامل الجهوزية للإبقاء على حياتي. لكنهم أصيبوا بدهشة بالغة عندما وجدوا أن "حالة الوفاة" وصلت إلى المستشفى واعية وبمعنويات عالية. وكل ما حدث لم يتعد بعض رضوض وجروح طفيفة وإجهاد عضلي، دون أدنى كسر للعظم!

بعد ذلك بيومين أخرجني الأطباء من المستشفى. وعندما تعافت عضلاتي من الإجهاد عدت إلى مزاولتي عملي بعد أسبوعين من الحادث.

وليس لدي أدنى شك أن إيماني العميق بالله هو الذي نجاني من حادث مريع لم أكن لأجود منه لو لا ثقتي المطلقة بالله الذي لا يخيب أمل المتكلمين عليه.. الواثقين بعونه.



## القلب: تشريح ميتافيزيقي

لا عجب أن كلمة (القلب) تنصدر معظم الأشعار والأغاني الوجدانية العربية وربما العالمية أيضاً، وقد لا يكون خطر على بال الكثيرين أن ذلك الإحساس المميز قد لا يكون مصدره تلك الكتلة العضلية المعروفة بالقلب. بل قد يكون ناجماً عن أداة روحية غير منظورة تستخدم القلب للإعراب عن ذاتها تماماً كما يستخدم الإنسان اللسان للتواصل مع الآخرين عن طريق النطق أثناء المحادثة اللفظية.

ومع أن اللسان يلعب دوراً حيوياً في التواصل بين الناس إنما لا يتم التركيز عليه والتحدث عنه بنفس الإهتمام الذي يحظى به القلب. فنسمع مثلاً أن كلام فلان رقيق أو جرح أو طيب أو بذيء أو غير ذلك ونادراً ما نسمع صفة الكلام مقترنة باللسان، ربما باستثناء عبارة خليجية هنا، مثل (صح لسانك) وعبارة أخرى أقل إطرأً، مثل (لسانه زفر).. وما عدا ذلك فالتركيز الأكبر هو على الظاهرة الكلامية التي يحدثها اللسان.

ولعل هذا أيضاً ينطبق على الأحاسيس التي تعتمل في ذات الإنسان ويعزوها إلى القلب. فلا أظن أن القلب قادر على فرز الأحاسيس أو ضخمها كما يفعل بالدم. والمنطق يوحي بأنه إما أداة لرصد وتلقي تلك الأحاسيس على اختلافها أو أن هناك مركزاً أثيراً للشعور يحتل نفس المنطقة التي تحتلها مضخة الدم في الجسم.

وبعد هذا التشريح المعنوي لذلك العضو الحيوي الذي احتل ويحتل مكاناً أبدياً نابضاً في الأدب العالمي، نقول أننا سنواصل التحدث عنه والإشارة إليه بالكيفية التقليدية المعهودة.

وقبل الإستطراد بهذا الحديث القلبي فلنستمتع قليلاً باستذكار بعض الأغاني والأشعار التي تحتفي بأبي الدقات والخفقات والنبضات.. القلب!

فهذا فريد الأطرش يطلب من قلبه أخذ قسط من الراحة ويتحشم عليه بالقول (يا قلبي كفاية دق..)

وهذه كوكب الشرق تبشّر قلبها بالنعيم إذ تقول (إفرح يا قلبي لك نصيب.. تبلغ منك ويا الحبيب..)

وهذا عبد الوهاب يؤكد قاتلاً (قلبي بيقول لي كلام..)

أما عبد الحليم حافظ فيأمر قلبه بأن ينطلق أمامه قاتلاً له (اسبقتي يا قلبي)

وأيضاً مطربنا المحبوب فهد بلان يصدح بصوته العذب (من قلبي وعيني بلغوها التحية)

وصباح كذلك تريد أن تذهب إلى القاضي وتكتب قلبها باسم حبيبها، هذا إن رضي حبيبها بذلك. فالرأي عائد له!

وغيرهم الكثير من المطربين والمطربات الذين احتل القلب نصيباً وافراً من غنائهم الوجداني.

أما زهير بن أبي سلمى فيقول (لسانُ الفتى نصفٌ ونصفٌ فؤاده)

في حين يطلق أحمد شوقي تصريحه القاطع:

وإذا القلوبُ استرسلت في غيها.. كانت بليتها على الأجسام

وكذلك طاغور احتفى بالقلب عندما قال (الكلام اللين يأسر القلب)

كما يؤكد لنا المقري (إن القلوب إذا تنافر ودها.. مثل الزجاج كسوره لا تجبر)

و يقال أن أحد النابهين أحس برغبة جامحة لقول الشعر إبان طفولته فاستنجد بقريحته الفتية التي أسعفته على الفور بهذه الغلذات بالذات: (يا قلب لما ضيبت طب الحب قبالك لما دريت..) والمعنى طبعاً بقلب الشاعر!

وبعد هذه الدردشة القلبية فلنعد بمعيتم إلى قلب الموضوع أو موضوع القلب..

فقد اعتبره البعض مذبحاً أو بالأحرى هيكلًا للروح الإلهي. وهو مترجم الأحاسيس الرقيقة الراقية وملهم المثل النبيلة السامية. فالله يسكب حبه وسلامه وفرحه في القلب الذي إذا ما امتلأ بالفيض الإلهي تنسكب محتوياته المقدسة على أنسجة وخلايا الجسم فينتعش صاحبه ويحس بقوة روحية تتخلل كيانه وكذلك بأفكار جديدة تتوارد عليه وبيقظة في الوعي قلما اختبرها من قبل. ويقال أنه عندما يتوجه القلب إلى الله يتبعه العقل (طوالي).

وقد شَبَّه القلب الصافي بالذهب النقي. وفي هذا الصدد يقول أحدهم أن القلب الطيب ذهب خالص، وأن القلب المحب هو منتهى الحكمة. في حين يؤكد البعض أن من يعرفون عقولهم لا يعرفون بالضرورة قلوبهم.. ربما لأنها أعمق وأرحب وأكثر اتصالاً بأسرار الحياة من العقل.

وما هو عملاق الشعر بايرون يؤكد أن إحساس القلب هو أصدق الغرائز على الإطلاق. بينما يتعمق ديلوزي في تحليل ودراسة القلب إذ يقول أن غُضون القلب وتجاعيده أعمق من تجاعيد الجبين وعضونه وأن لهيبه أحرّ من جمر الغضا ولفحات السعير. كما أن بعضهم يذهب إلى القول بما معناه:

إن تنقيبَ النجيل من حقول وكرومٍ  
أسهل من غسل ما في القلب من غث السموم!

فسلامة القلوب من الهموم والسموم وتباركت المشاعر التي تعتمل في القلوب وتعتمد عليها في ترجمتها وتفسيرها ببلاغة وفصاحة.



### تجربتي مع الصخور

قد يبدو هذا العنوان طريفاً بالنسبة للذين يعيشون قرب الصخور أو ربما يشكون من كثرتها في أرضهم، ولكن ليس بالنسبة لكاتب هذه السطور.

أذكر أنني قرأت منذ سنوات موضوعاً لأمين الرياحي عن الصخور وكذلك موضوعاً للأستاذ ميخائيل نعيمة ربما كان تقليداً للرياحي تماماً كما فعل في (كتاب مرداد) عندما حاول تقليد (كتاب خالد). لن أحاول هنا تقليد الأديبين الكبيرين بالرغم من مقارنة نفس الموضوع الذي اختاروا الكتابة فيه. الحجارة على اختلافها والصخور كانت شيئاً مألوفاً بالنسبة لي أثناء إقامتي في قرية الرحي. فلم يكن من نقص في تلك الجلاميد التي كنا نراها أينما اتجهنا وحيثما جلسنا في الطبيعة، بل وكنا نصرف اليوم بطوله في تعزير قطعة من الأرض فنجمع حجارتها على هيئة كومة نسميها الرُجمة. وتلك الرجوم كانت متوافرة بكثرة لا سيما في مكان قريب من القرية اسمه الوعر. أما حجارة وصخور الشميس والدراج والمعقرات وأبو صبح والمرقب والمغر فحدث عن البحر ولا حرج!

إذاً فقد نشأت على مشاهدة ومعايشة الصخور والحجارة على أنها أمر طبيعي موجود في كل مكان من أرض الله الواسعة. ولكن لدى سفري إلى كندا لاحظت أن الحجارة آنذاك كانت شبه مفقودة من مدينة وندزر، باستثناء حجر أو اثنين هنا وهناك أمام بيت من البيوت أو في حديقة من الحدائق.

ولدى انتقالي إلى ولاية ميشيغان الأمريكية لم يختلف الأمر من حيث طبيعة الأرض التي تكاد تكون خالية من الحجارة الطبيعية. وبالجملة الطبيعية أعني الموجودة بين البيوت وأمامها دون أن تكون مجلوبة من مكان آخر. وقد اتضح لي فيما بعد أن الحجارة والصخور متوفرة لمن يريد شراءها. وهي تباع بالباوند أي نصف الكيلوغرام تقريباً. فهناك شركات متخصصة في جلبها بشاحنات كبيرة من شمال ميشيغان أو من إحدى ولايات الغرب الأمريكي الأوسط. وقد ابتعت بعضاً منها، إنما ظل قلبي يحن لامتلاك الكثير من تلك الصخور وكم تمنيت لو وجدت في الطبيعة وجليتها بنفسني إلى حديقة المنزل. وكم حلمت بأنني أتمشى وسط الحجارة ألمسها وأقبلها بيدي فأشعر بنشوة تغمرني حتى في الحلم.

منذ حوالي العشر سنوات تقريباً ذهبت إلى بحيرة ميشيغان التي تبعد بضعة مئات من الكيلومترات عن المدينة التي نعيش فيها فوجدت شاطئ البحيرة يزخر بأجمل ما شاهدته في حياتي من الصخور والحجارة المتاحة لمن يريد أن يتزود بها. وبالفعل كانت بالنسبة لي ساعة الرحمن. فكنت أمضي ساعات طويلة متمشياً بين تلك الصخور ذات الألوان والأشكال والأحجام البديعة. وكنت – دون مبالغة – كمن عثر على منجم من الجواهر.

لدى عودتي كنت أحمل السيارة بتلك الجواهر الحجرية. وذات مرة كان الحمل زائداً لدرجة أن السيارة لم تتمكن من الإنطلاق بسهولة بحملها الثقيل مما اضطرني إلى التخلي عن بعض الحجارة على مضض. وقد كررت زيارتي إلى تلك البحيرة وتواصل جلب الحجارة إلى أن أصبحت حديقة المنزل شبيهة بمتحف حجري يضم الكثير من الحجارة الفريدة. إذ لكل حجر لونه وشكله بل وشخصيته المميزة.

جدير بالذكر أن بعض تلك الحجارة كنت أحمله على كتفي لمسافة كيلومترين أو أكثر بالرغم من وزنه الثقيل المرهق!

الصخور بالنسبة لي تعني الثبات والرسوخ وعدم التغير على مر السنين والعصور وربما الدهور. فعندما عرضت حجراً من تلك الحجارة على العالم الجيولوجي الدكتور ريتشارد وسألته أن يقيم عمره قال لي بعد أن تفحصه جيداً: لا يقل عن أربعة ملايين سنة. وهذا بالنسبة لي هو تاريخ طبيعي. فذلك الحجر وغيره الكثير – سواء هنا في هذه البلاد أو في أي بلد آخر – قد عاصر مراحل عديدة من تاريخ الطبيعة والإنسانية ومع ذلك بقي محتفظاً بشكله وتماسك جزيناته. وربما ظل لمئات أو آلاف السنين مغموراً بماء البحيرات أو الأنهار دون أن يخترقه الماء لشدة صلابته وتماسكه العجيب.

أجل الحجارة أو الصخور بالنسبة لي هي من أجمل مظاهر الطبيعة وأكثرها ثباتاً. بل ولعلها الشيء الوحيد الذي ما زال على حاله منذ العصور السحيقة. ولو كانت سطوحها قد سجلت كل الأحداث التي حصلت قربها في الأيام الخوالي وتمكن العلم يوماً من نبش تلك الصور لرأينا الأعاجيب. ولو استطعنا استنطاقها لمعرفة أسرارها وخفايا الدهور لكانت لها حكايات لا تنتهي طوال عمر الإنسان.

الصخور والحجارة التي في حديقة المنزل يغطيها الثلج في فصل الشتاء وما أن يأخذ في الذوبان في فصل الربيع حتى تطل من جديد فيفرح قلبي بمرآها وربما التحدث إليها بلغتها الصامتة صمت الحجارة! وعندما أسقي الورود والرياحين في فصل الصيف أرش الحجارة أيضاً بالماء فتزهو ألوانها وتصبح بهجة للنظر.

تلك هي قصتي مع الصخور التي ابتدأت مع محبتي لصخور الجبل.. تلك المحبة التي ترسخت في تربة الوعي وما زالت وستبقى ما دام في القلب نبض وفي العروق دم يجري.

## الإبداع نظرة تحليلية

الإبداع هو إسم آخر للخلق، ونحن نعلم أن الله قد خلقنا أي أبداعنا من ذاته. وهذا الإبداع يلزمه ميزة أساسية حتى يعتبر إبداعاً وتلك الميزة هي الأصالة. ولا يكفي أن يأتي الإنسان بشيء جديد حتى يدعى إبداعاً، بل ينبغي أيضاً أن يكون ذلك الجديد مفيداً مادياً أو معنوياً، وإلا فقد يأتي محبو "الإبداع" بأشياء جديدة إنما قد تكون تافهة أو ضارة ولذلك تبقى خارج نطاق هذا التعريف.

وروح الإبداع في الإنسان هي ذات طاقة أو قوة حركية، ولذلك فهي تحاول دوماً الإعراب عن ذاتها باستجماع أفكار أو انطباعات أثرية رجراجة وتجسيدها صوراً وأشكالاً أو قطعاً فنية أو أدبية في عالم الواقع. وإن تتبعنا مسار الحضارة الإنسانية منذ فجر التاريخ لوجدنا أن الإنسان – حتى في مراحل البدائية – أحس بذلك الدافع الخلاق فراح يعبر عنه بكومات من حجارة أو رسوم في كهوف أو أهرام ومسلات في صحراء أو ملاحم ومعلقات أو أزياء وتقليعات أو أغان وألحان منها ما يُطرب ويشجي ومنها ما لا يحرك الأشواق ولا تستسيغه الأذواق.

الإنسان خلاق بطبيعته وعندما لا يستطيع الإتيان بشيء جديد محسوس يطلق لفكره العنان ليخلق ما شاء له من البدائع الفنية في دنيا الأفكار ذات المراتب والمستويات التي بعدد أفكار المفكرين، وهذا ليس بالعدد القليل!

لقد أبدع الكثير من شعرائنا العرب منذ عصر الجاهلية وما زالوا يبدعون. وهناك معايير متفق عليها في هذا الشأن. وبما أن الإبداع هو وليد الفكر، والفكر وليد الوعي، والوعي ذو أصل كوني لأنه انبثق عن الوعي الكلي، فلا بد أن يكون الإبداع ذا طبيعة عالمية.

فالقصيدة الإبداعية أو المقطوعة الأدبية في أية لغة من اللغات يجب أن تحتفظ بروح الإبداع لدى ترجمتها إلى لغة أخرى، تماماً كما تترك اللوحة الفنية الرائعة انطباعاً خاصاً في نفس كل من يتأملها بغض النظر عن اللغة التي يتكلمها أو الثقافة التي ينتمي إليها.

إن سماء دنيا الإبداع تعج بالأفكار المضيئة الدائمة الإشعاع. وحينما يتمكن فكر الإنسان من التناغم مع مستوى من تلك المستويات ويجعل عقله وكافة إمكانياته في حالة الجهوزية والتقبل لا بد أن يتمكن من نقل ولو قسط بسيط من تلك المشاهد أو المشاهدات أو الرؤى أو الإنطباعات من عالم الفنون الأصيلة الجميلة إلى دنيا الناس هذه.

هناك عبارة بكل ما لهذه الكلمة من معنى – من كل القوميات – ممن تركوا بصمات لا تمحى على وعي البشرية بفضل تناغمهم التام مع مستويات من غير هذا العالم. تلك حقيقة لا جدال فيها عند محبي الإبداع الذين يتمتعون بذائقة فنية على درجة عالية من الرهافة والتميز.

هؤلاء النوابغ لم يعمدوا للتقليد لأنهم اعتبروا التقليد غير لائق بالنفوس والعقول الكبيرة. ولذلك ساروا في دروب غير مطروقة فاكشفوا كنوزاً جديدة تمكنوا من جلبها أو لنقل من تجسيدها في هذه العالم ليراهنا ويستمتع بها الناس دون المقدر على الإتيان بمثلها. ولعل السبب في ذلك يعود إلى كون تلك الإبداعات غير متاحة للذين لا يكرسون ما يكفي من الجهد والنشاط الخلاق لبلوغ مواطن تلك الكنوز الإبداعية الفريدة.

المقلدون طبعاً يحاولون إيهام أنفسهم والآخرين بوجود إمكانيات ضخمة لديهم. وقد يفلحون في إعادة الصياغة وإتقان فن الصباغة إنما لا يعني ذلك أنهم مبدعون. ولعل واقع الفن في هذا العصر يتحدث بفصاحة عن العجز شبه التام في ارتياد آفاق بعيدة ما زالت تزخر بكل ما هو جديد ونافع للنفس وللآخرين. ولو عرف الكثير من "فنانني" العصر بأي مظهر يظهر أمام من يحسنون التمييز بين العظيم والسقيم فلربما خلجوا من أنفسهم وكفوا عن المجون والرقص المحموم والغناء الغث الذي فيه سموم وعن الكلام الأرخص من التراب ولا نقول الفجل الذي فيه بعض منافع، ولتوقفوا كذلك عن الحركات البهلوانية والضحكات التي تذكرنا بزئيق القروء وقهقهة الضباع. ياله من ضياع!

وبالرغم من هذا الإسفاف والإنسفال الجماعي إلى مستويات لا تمت للفن بصلة، ما زال في الناس أصلاء يعرفون الفرق بين ما هو أصيل وما هو مزيف. كما أن الإنسانية الولادة ما زالت تنجب عباقرة وفنانين يتمتعون بحس رفيع من المسؤولية تجاه إخوتهم البشر، ويجندون كل طاقاتهم لخلق ما ينفع الناس ويسمو بأفكارهم عالياً ويترك بصمات للأجيال توحى بأن الأسلاف تركوا وراءهم فعلاً ما يستحق المحافظة عليه والإحتفاء به.

## جولة مع المصارعة

المصارعة هي رياضة يحاول خلالها كل من الخصمين السيطرة على الآخر دون ضربه، بل بالتغلب عليه بنقاط محسوبة. وبالإضافة إلى الفوز بالنقاط يمكن أيضاً للمصارع أن يفوز عندما يتمكن من تمديد خصمه أرضاً. وهذه الرياضة هي من أكثر الرياضات إجهاداً من الناحيتين الجسدية والعقلية، إذ تتطلب قوة فائقة وسرعة غير عادية واستذكراً لعشرات وربما لمئات من الحركات الهجومية .

المصارعون يتدربون على مدار السنة، والمصارعة تستقطب كافة عضلات الجسم من قمة الرأس حتى أخمص القدمين. ولذلك فهي من أكثر أنواع الرياضة فائدة للجسم .

المنتصر في المصارعة هو ليس بالضرورة الأقوى أو الأثقل وزناً. بالطبع للوزن أهميته ولكن الحنق يأتي في المرتبة الأولى. والمصارع الذي يتقن جميع الأوضاع (أو المسكات) الصعبة مثل مسكة المطرقة التي يمسك المصارع بها ذراع خصمه ويلويها خلف ظهره أو مسكة (هاف نيسلون) التي تكون فيها ذراع المصارع تحت ذراع خصمه وخلف ظهره، ومسكة الدالية التي يلف فيها المصارع ساقه حول ساق خصمه تمهيداً لرميه أرضاً.. من يتقن هذه المسكات يمتلك فرصة أكبر ليرمي خصمه الأثقل والأقوى منه إنما الأقل مهارة وحذقاً.

هناك عنصران في غاية الأهمية في المصارعة هما العين السريعة (أي المتتبعة بدقة متناهية لكل حركة من حركات الخصم) والفعل الحاسم. فالمصارع البطيء هو مصارع غير فعال لأنه يفقد قوته التي ينبغي توظيفها في حركات هجومية رشيقة وفي محاولات مبتكرة لا يتوقعها الخصم.

المصارعة شيء طبيعي بالنسبة لروح الإنسان المعرمة أصلاً بالمنافسة، ولذلك فهي من أقدم أنواع الرياضة التي عرفها الإنسان على مر التاريخ. وبالكاد توجد حيلة واحدة أو وضع معين في فنون المصارعة العصرية لم يمارسها مصارعو الرومان والإغريق القدامى قبل الميلاد! فالمصارعة كانت معروفة جيداً منذ الألف الثالث قبل الميلاد.

الرشاقة بالنسبة للإغريق كانت أهم من القوة في ألعابهم، والقواعد التي تحكم فن المصارعة كانت صارمة للغاية. وفي هذا الصدد يخبرنا المؤرخ الإغريقي بلوتارخ أن ما من رياضة أخرى كانت تخضع لنفس المعايير الدقيقة الخاصة بالمصارعة.

المصارعة الرومانية أو الإغريقية الشائعة قد لا تكون هي نفس المصارعة التي مورست في الماضي السحيق من قبل الرياضيين المحترفين. فالمصارعون القدامى لم تكن مسكاتهم لخصومهم عشوائية. بل لم يكن مسموحاً لهم المسك ما دون الخصر أو إيقاع الخصم بالتسبب بتعثره (عركجته). المصارعة كانت تتم فوق حصيرة ويتم تسجيل نقطة عندما يتمكن المصارع من تثبيت كتفي خصمه بالأرض. الوزن وقوة التحمل يلعبان دوراً كبيراً في هذا النوع من المصارعة.

المصارعة الحرة هي التي يستعملها الأولاد عادة في المدرسة، وهي الأسلوب المفضل في معظم البلدان، لأنها تسمح بمجال واسع من الحركة وفيها ما فيها من المناورات السهلة التي لا تتقيد بقواعد محددة بل يجوز فيها ما لا يجوز في غيرها من فنون المصارعة.

التدافع مسموح به، ولكن الركل (اللبط) والضغط على الرقبة محظوران. وكما يوحي اسم هذه المصارعة فهي عشوائية، والمصارعان يبذل كل منهما قصارى جهده لرمي خصمه أرضاً. وعندما تكون المصارعة رسمية يحتاج المصارع إلى نقطتين من أصل ثلاث نقاط أو ثلاث نقاط من أصل خمس ليربح الجولة.

ومن المسكات التي كانت مشهورة مسكة القبة والكوع. هذه المسكة غير التقليدية تم حذفها من المصارعة الرسمية مع أنها ما زالت تُمارس في بعض الدول. فالمصارع يلبس جاكيتة قصيرة لها قبة سميكة وكُمان مما يوفر مسكة جيدة. المتصارعان يمسك أحدهما بقبة الآخر بيده اليمنى وباليد الأخرى يمسك أحد الكمين بقوة قرب الكوع. وأثناء العراك والتجاذب ينبغي عدم إرخاء المسكة خوفاً من الخسارة. والمصارع الذي تلامس كتفاه وأحد وركبيه، أو كتفاه ووركاه الصغيرة يكون هو الخاسر. حتى ولو قال: لآحني ولحتة ومن عزمي جيته تحته!

## الأرز: الغذاء الرئيسي لنصف سكان الكرة الأرضية

مع أن معظم الأغذية العالمية لها صلة وثيقة بفصيلة الحشائش أو النجيليات، إنما العضو الأهم في تلك الفصيلة هو الحشيش الواسع الإنتشار والمعروف بالأرز أو (الرّزّ بالعامية).

نصف سكان الكرة الأرضية يقتاتون على حبوب الأرز. وشعبية الأرز في البلدان الشرقية تفوق بكثير شعبيته في البلدان الغربية. اليابان على سبيل المثال تدعى أحياناً "بلد سنابل الأرز."

عندما نفكر بالصينيين يتبادر الأرز إلى أذهاننا تماماً كما نقرن اسم المعكرونة بالإيطاليين. وهذا ينطبق أيضاً على بعض المأكولات العربية الشعبية حيث يستحيل التفكير بمنسف عامر بدون أرز .

أصول الأرز الذي نتناوله اليوم كانت عبارة عن حشائش تحيط ببحيرات الهند وشمال أستراليا. وكانت تلك الحشائش تدعى نيفارا. أما الاسم اللاتيني فهو أوريذا الذي اشتقت منه كلمة رايس الإنكليزية (وربما الأرز العربية).

من غير المعروف متى كانت بداية تدجين الإنسان للأرز. وهناك طقوس هندوسية معنة في القدم ما زالت تقام باستخدام الأرز، تماماً كما في العصور الخوالي.

أما في الصين فهناك أحد طقوس زراعة الأرز يعود تاريخه إلى ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد، حيث يقوم الإمبراطور والأمراء بالاحتفال بزراعة الأرز بنثر قبضة منه بأيديهم الملكية. أما في إيطاليا فلم يُزرع الأرز إلى في نهاية القرن الخامس عشر.

بما أن الأرز ينتسب إلى الحشائش الساحلية فمن الطبيعي أنه يعتمد اعتماداً كلياً على كميات وافرة من الماء. ونبتة الأرز تحبذ الطين الخصب لتترسخ وتمد جذورها. ومن الضروري إبقاء المساحات المزروعة بالأرز مغمورة بالماء معظم الوقت، باستثناء موسم الحصاد. إن حقلًا من الأرز يبدو عن بعد كما لو كان بحيرة من الزمرد الأخضر.

الأراضي المثلثة التي تتشكل عند مصبات الأنهار كنهج بردى والفرات والغانج ويانغ تسي كيانغ والنيل والميسيسيبي هي أنسب الأراضي لهذه النبتة المانية العجيبة لأن تلك الأراضي تتعرض للفيضانات بين الحين والآخر. وهذا ينطبق أيضاً على السهوب أو السهول الواسعة في كل من الهند والصين والمستنقعات المنخفضة في جنوب الأطلنطي. جزر الهاواي والفلبين واليابان وكوريا وسيلان (سريلانكا) وجزر الهند الغربية وأجزاء

من أمريكا الجنوبية والوسطى كلها مناطق مناسبة لزراعة الأرز نظراً لوديانها الجيدة الري وأمطارها الغزيرة.

يتم تقسيم حقول الأرز إلى مساحات صغيرة تفصلها عن بعضها حواجز أو سواتر تعمل كسدود لاحتجاز وتصريف المياه حسب الحاجة.

يتم زرع حبوب الأرز في التربة الطينية التي تبقى مغمورة بالماء حتى يفرخ النبات الغض، عندئذ يتم تصريف الماء. وعندما يصبح النبات بطول العشر سنتيمترات أو أكثر بقليل يتم حرث الحقل وغمره بالماء مجدداً ويبقى على تلك الحالة لحوالي الثلاثة شهور.

في البلدان الشرقية يتم نثر الحبوب في التربة الخصبة ذات الطين الرخو ومن ثم يُسْتَلُّ النبات ويعاد غرسه في مساحات أوسع. يستكمل نبات الأرز نموه في الماء وقد يبلغ طول النبتة الواحدة في بعض الأحيان المتر والنصف.

الجفاف والفيضانات هي من ألد أعداء الأرز. الأعشاب المتطفلة تنمو وتزدهر في حقول الأرز وينبغي استئصالها (أي قلعها) بعناية فائقة حتى لا تتأذى جذور الأرز. وهناك آفة أخرى هي الأرز البري ذو الحبوب الحمراء الذي ينتشر بسرعة مدهشة مما يؤثر سلباً على جودة المحصول. وهناك طيور تعرف بطيور الأرز تلقم كميات كبيرة منه.

عندما تبدأ سيقان الأرز بالاصفرار يتم تصريف الحقول أو الأحواض من المياه تحضيراً للحصاد. وبعد جمع أكوام الأرز وتكديسها، يتم تجفيفها وتصبح جاهزة للدرس. في بعض البلدان الشرقية المنتجة للأرز ما زالت أساليب الدرس البدائية تستعمل حتى اليوم بالاستعانة بالثيران أو الضرب بأمشاط حديدية أو ما شابه. أما في البلدان الغربية (وربما في بعض البلدان الشرقية كذلك) فتستعمل آلات شبيهة بحصادات القمح لجني الأرز.

بعض الشرقيين يخزنون الأرز بسنابله ويقومون بفرز الحبوب على قدر حاجتهم.

القيمة الغذائية للأرز تكمن أكثر ما تكمن في قشرته، ولذلك فإن الأرز المقشور يفقد كثيراً من مقومات التغذية. والأرز ليس له نفس القيمة الغذائية التي للقمح أو للذرة لأنه تعوزه المواد الدهنية والبروتينات. إنه دقيق أو نشاء بالدرجة الأولى ويحتاج إلى مغذيات أخرى غنية بالبروتينات والزيوت.

اليابانيون لديهم مشروب مفضل اسمه ساكي (أو ساقي) وهو نبيذ الأرز الذي يتم تخميره من حبوب الأرز. أما في الهند فيستقطن منه مشروباً يدعى أراك (أو عرق). والصينيون يستعملون الأرز في تحضير مشروبات روحية قوية. وهناك مشروب هندي صيفي مصنوع من ماء الأرز وعصير الليمون والسكر. أما نخالة الأرز فتستعمل لعلف البقر والخنازير، في حين تستعمل سيقان الأرز في صنع القبعات والصنادل والسلال على اختلافها.



مع أساطين وعمالقة الفن: ليوناردو دافينشي

وُلد ليوناردو دافينشي عام ١٤٥٢ للميلاد وكان واحداً من بين أربعة أعظم فنانيين إيطاليين عرفهم عصر النهضة. أما الفنانون الثلاثة الآخرون فكانوا ميخائيل أنجيلو ورافائيل وكوريجيو .

كان ليوناردو عبقرياً عالمياً بكل المعايير. ففي الفنون الجميلة لم يتميز في الرسم وحسب بل أيضاً في النحت والهندسة المعمارية والموسيقى والنقد الأدبي . وكان أيضاً ميكانيكاً ومهندساً مدنياً وعسكرياً، وعالم تشريح وعالم نبات وعالم فلك وعالم جيولوجيا. وباختصار فقد كان متمرساً في كل العلوم الطبيعية والحسابية.

وُلد ليوناردو في مدينة فينسي بالقرب من فلورنسا وقد برهن عن براعة نادرة وعبقرية متعددة المواهب في سن مبكرة مما جعله متميزاً حتى ضمن فئة نوابغ عصره. ولم تمر فترة طويلة حتى تفوق على معلمه الرسام الذائع الصيت فيروكشيو.

في سن الثلاثين التحق في خدمة دوق ميلانو لودوفيكو المورو الذي طلب منه القيام برسم لوحة العشاء الأخير أو العشاء الرباني لدير سانتا ماريا في ميلانو. ومع أن هذه اللوحة النادرة قد بهت لونها وتضررت بفعل الدخان والرطوبة والإهمال، لكنها ما زالت إحدى أعاجيب الجمال الروحي وتحتل مكانة غير قابلة للمنافسة بين اللوحات الزيتية على مر العصور.

في ميلانو تمكن ليوناردو من تخليد آثاره وتأثيره بإنشائه أكاديمية ميلانو للفنون. وبعد احتلال الفرنسيين لتلك المدينة انتقل إلى فلورنسا حيث رسم أشهر صورة في تاريخ الفن وهي الصورة المعروفة بالمونا ليزا أو الجوكوندا لإحدى سيدات فلورنسا الشهيرات.

الإبتسامة الملعونة لتلك السيدة شغلت الناس على مدى قرون، ودارت حولها حوارات وتحليلات لم تنته بعد . بعض النقاد يرى لاشيء وراء تلك الإبتسامة المحيرة، في حين يرى آخرون أن عالماً من المعاني والأسرار يكتنف تلك الإبتسامة الغامضة التي تعصى على الوصف.

والمونا ليزا هي إحدى تحف اللوفر التي لا تقدر بثمن. في عام ١٩١١ اختفت من إطارها فأثارت ضجة عالمية كبرى. وبعد سنتين من فقدانها تم استعادتها من لص إيطالي سرقها لدوافع وطنية.

في العام ١٥٠٢ تم تعيين دافينشي رئيساً لمهندسي ومعماريي جيش البابا مما أعطاه الفرصة لزيارة المعقل البابوية المحصنة . أما السنوات الأخيرة من حياته فقد أمضاها في خدمة فرنسا، إذ اهتم الملك فرانسوا الأول بعبقرية دافينشي المتعددة الجوانب. وفي عام ١٥١٦ دعاه الملك إلى مدينة أمبوا وخصص له قصر كلوس لوسيه للعيش والسكن فحضر ليوناردو ومعه ثلاثة نماذج من عمله هي المونا ليزا وسانتا آنا والقديس يوحنا المعمدان. وقد أمضى ليوناردو الثلاث سنوات الأخيرة من حياته في قصر كلوس لوسيه حتى وافته المنية في عام ١٥١٩. وقد تم تشييد نصب تذكاري تخليداً له بالقرب من إحدى كاتدرانيات ميلانو.

تميزت لوحات ليوناردو بالواقعية وقد كان سابقاً لعصره لاسيما من حيث تفكيره ذي الصبغة العلمية - الصناعية. ففكرة طائرة الهليكوبتر تعود له بالأساس، ومثلها الدبابة واستعمال الطاقة الشمسية والآلة الحاسبة. لم يتم وضع أفكاره قيد التنفيذ أثناء حياته لأن فنون وأساليب التصنيع العصرية كانت في مرحلة الطفولة المبكرة آنذاك ولم تكن الوسائل والأساليب المتوفرة قادرة على تجسيد عبقريته مثلما تصورنا ورأها.

كما ساهم ليوناردو في وضع الأسس المنهجية لعلم التشريح وعلم الفلك والهندسة المعمارية وعلم البصريات وكذلك دراسة ديناميك الموائع (الهيدروديناميك).

لم يبق من أعماله سوى بضع لوحات مع بعض الدفاتر الخاصة التي تحتوي صفحاتها على رسومات وملاحظات وصور علمية. ومن بين أعماله المتأخرة عذراء الصخور وصورة يوحنا المعمدان في متحف اللوفر.



## الشفق وخط الأفق

الشفق أو الغسق هو فترة قصيرة نسبياً تفصل ضوء النهار عن ظلمة الليل، وتحدث عادة بعد هبوط الشمس إلى ما دون خط الأفق. في هذه الفترة يضيء الجو بضوء ناعم خفيف لا يلبث أن يتلاشى تدريجياً إلى عتمة الليل.

وهناك فترة مماثلة تحدث قبل بزوغ الشمس تدعى الفجر، مع أن الفجر هو أيضاً شفق من وجهة نظر علمية. وظاهرة الشفق مردها انكسار وانعكاس أشعة الشمس.

عندما تتوارى الشمس عن النظر وتغيب، أو عندما تكون على وشك البزوغ فوق الأفق فإن أشعتها المنطلقة إلى الجو المحيط بالأرض تنحني عند زاوية معينة لتصل إلى مناطق لا يمكن رؤية الشمس مباشرة منها. والسر من رؤية أشعة الشمس) بالرغم من عدم رؤية الشمس نفسها) يعود إلى انعكاس الأشعة عبر الغبار والماء الموجودين في طبقات الجو العليا.

فترة الشفق تختلف اختلافاً كبيراً بحسب أصقاع أو مناطق الأرض المختلفة. وهذا يعود أيضاً إلى نفس السبب الذي يؤثر بطول الليل والنهار.

هناك اعتقاد سائد أن الظلام يحل في الأقطار الاستوائية بعد غروب الشمس مباشرة. ولكن هذا غير صحيح تماماً. وحتى عند خط الاستواء يظل النور مترانياً لحوالي عشرين دقيقة تقريباً لأن حركة الأرض عند خطوط العرض المنخفضة تكون متعامدة مع رؤية الشفق. ولذلك فإن أي نقطة من نقاط خط الاستواء تعبر مناطق الشفق مباشرة وبسرعة..

ولقد تبين أن الشفق يستمر من لحظة غروب الشمس حتى تصبح الشمس عند مسافة ١٨ درجة تحت خط الأفق. وفي الصباح يتواصل الشفق (أو الفجر) من نفس المسافة حتى شروق الشمس.

عند خط الاستواء لا يختلف الوقت الذي تستغرقه الشمس لبلوغ مسافة الـ ١٨ درجة بعد غروبها. ولكن عندما ينتقل الشخص شمالاً أو جنوباً يدخل أقطاراً أو مناطق حيث يتغير مسار الشمس فوق سطح الأرض من يوم إلى آخر، ولذلك تختلف فترة الشفق من حيث الطول أو القصر.

في المنطقة المتجمدة، وخلال الصيف، تحدث فترة لا تهبط فيها الشمس إلى ما دون خط الأفق. ومن هنا فإن الصيف يعني في تلك المنطقة نهاراً دائماً. أما في أقصى الجنوب فلا تهبط شمس الصيف إلى ١٨ درجة دون خط الأفق، ولذلك فإن الشفق يصل غروب الشمس بشروقها.

في المنطقتين القطبيتين يتواصل ضوء النهار على مدى ٢٤ ساعة أثناء الصيف، ويستمر الشفق على مدى أسابيع بطولها (لا سيما في الخريف والربيع القطبيين). أما خارج المنطقتين فيتواصل الشفق من غروب الشمس حتى شروقها، وهي ظاهرة يشار إليها عادة على أنها ليالٍ بيضاء لا سيما في آلاسكا وفنلندا.

هناك ثلاثة أنواع من الشفق هي: الشفق المدني والشفق البحري والشفق الفلكي.

الشفق المدني يبدأ عند الصباح عندما يكون مركز الشمس أقل من 6 درجات تحت خط الأفق وينتهي بغروب الشمس. أما مساء الشفق المدني فيبدأ عند غروب الشمس وينتهي عندما يكون مركز الشمس أكثر من 6 درجات تحت الأفق.

الشفق البحري يبدأ عندما يكون مركز الشمس أكثر من 6 درجات تحت خط الأفق ولكن أقل من ١٢ درجة. خلال هذه الفترة يمكن الملاحظة من معاينة النجوم المعروفة بشكل جيد، مستعينين بالأفق المنظور كمرجع لهم.

أما الشفق الفلكي فيبدأ عندما يكون مركز الشمس أكثر من ١٢ درجة تحت خط الأفق ولكن أقل من ١٨ درجة. خلال هذه الفترة يمكن معاينة النجوم العادية. أما السدم والمجرات فلا يمكن مشاهدتها بوضوح إلى من مجالات أبعد من مجال الشفق الفلكي.

## فيزوف: البركان الأوحده في أوروبا



كنت قد باشرت بترجمة هذا المقال في نفس الوقت تقريباً الذي نشر فيه الأستاذ رشاد) ترتيب جبل الدروز في العالم) وفوجنت فعلا لهذا التطابق غير المتوقع، إذ لم أكن أعرف بأنه سينشر معلومات عن البراكين. فهل هي المصادفة أم تخاطر الأفكار؟

يقع بركان فيزوف على خليج نابولي في إيطاليا، ويبعد عن مدينة نابولي بحوالي اثني عشر كيلو متراً. للجبل قمتان، حيث يقذف البركان حممه من القمة الأعلى. أما القمة الأقل علواً المسماة تل سوما فتشتمل جزئياً على الشكل المخروطي الناشط للبركان وتنحدر انحداراً حاداً نحو السهول المحيطة بالجبل. تل سوما كان في يوم من الأيام جزءاً من الفوهة التاريخية الشهيرة المعروفة بالفوهة الكبرى. محيط قاعدة البركان يبلغ حوالي الأربعة آلاف قدم فوق سطح البحر. أما علوه فيختلف من وقت إلى آخر. عندما حدث انفجار ١٩٠٦ كان علوه حوالي الثلاثة آلاف قدم، بعد ذلك وصل إلى قرابة أربعة آلاف وثمانمائة قدم. في قمة المخروط الناشط فوهة على شكل كوب يتراوح قطرها ما بين ٥٠ و ٩٠ قدماً يحدث وسطها نشاط بركاني بين الفينة والأخرى. ومن حين لآخر تشاهد أعمدة من البخار والرماد وكميات من الحمم منطلقة في الجو.

الزائرون يمكنهم النزول إلى الفوهة بمساعدة الدليل لمعاينة البخار القرمزي المنطلق والمنساب من المخروط إلى قاع أو طبقة من المعادن الخضراء الباردة. آلاف السياح يذهبون لزيارة بركان فيزوف كل عام.

هناك قاطرة كهربائية تنقل الزائرين من نابولي إلى أسفل المخروط حيث يستقلوا عربة تلفريك سلكية لتأخذهم إلى نقطة لا تبعد عن الفوهة سوى ٤٥٠ قدماً. السهول المحيطة بالجبل والمنحدرات السفلى مكتظة بالسكان وفيها الكثير من كروم العنب ذات الإنتاج الجيد نظراً لخصوبة الأرض. أما مرتفعات الجبل العليا والقمة فهي غير متساوية ومغطاة بشظايا غير متماسكة من الحمم والرماد البركاني.

وتقول الأساطير الرومانية الممعة في القدم أن الآلهة كانوا يستعملوا الحقول المحيطة بفيزوف كساحة للحرب النارية، مما يؤكد أن إنسان ما قبل التاريخ قد شاهد فعلاً انفجار البركان.

مرت قرون على خمود البركان، لكن في العام ٦٤ للميلاد حدثت سلسلة من الزلازل الأرضية تواصلت على مدى ستة عشر عاماً مما أقض مضاجع السكان وزرع الخوف في نفوسهم.

الإنفجار البركاني الأول المدون تاريخياً حدث في شهر آب من العام ٧٩ للميلاد عندما دُمرت ثلاث مدن بالكامل هي هيركولينيوم وبومبي وستابيا. ومنذ ذلك العام حدثت بين الحين والآخر انفجارات متفاوتة الحجم. وفي العام ٤٧٠ ميلادية انطلق الرماد البركاني من الفوهة بكميات ضخمة بحيث نقلت الريح ذلك الرماد إلى القسطنطينية.

في الثلاثينيات من القرن السادس عشر حدث انفجار ضخم فتدفقت سيول الحمم والماء المغلي على القرى عند أسفل الجبل وقضت على حوالي العشرين ألف من السكان. كما حدثت ستة انفجارات تدميرية ما بين العام ١٧٩٤ و١٨٩٥.

أكبر تدمير عصري حصل في نيسان ١٩٠٦ حيث دُمر العديد من المدن والقرى المجاورة للبركان وهناك انفجار آخر حدث في ثلاثينيات القرن العشرين.

بركان فيزوف هو البركان النشط الوحيد في القارة الأوروبية. وكونه في حالة نشاط دائم وغير متعذر الوصول إليه فقد خضع لدراسة العلماء والباحثين أكثر من أي بركان آخر في العالم، وتم إنشاء محطات أرصاد جوية على منحدرات الجبل. والكثير من النظريات المتعلقة بالنشاط البركاني مبني على هذه الدراسات.



### قصة حصان طروادة

في الأسطورة الإغريقية قام الأخيون بقيادة آغاممنون شقيق مينالوس بحصار طروادة لاستعادة هيلين زوجة مينالوس ملك إسبارطة .

كان باريس قد اختطف هيلين أثناء زيارته إلى إسبارطة وأخذها إلى طروادة. استمر الحصار لعشر سنين فذب القنوط في نفوس الإغريق وأيقنوا أنهم لن يتمكنوا من الإستيلاء على المدينة. عندئذ ارتأى أوليس اللجوء إلى الحيلة. فتظاهر الإغريق بأنهم على وشك إنهاء الحصار ومغادرة المكان. وكانت بعض سفنهم قد أبحرت لكنها توارت خلف جزيرة قريبة.

بعد ذلك قام الإغريق ببناء حصان خشبي عملاق وأعلنوا أنه سيكون تقدمة إلى الإلهة مينيرفا. ولكن بالحقيقة كان الحصان مملوءا بالمسطين. أما بقية الإغريق فقد تركوا مواقعهم وأبحروا تاركين الحصان الكبير خارج أسوار المدينة.

فرح الطرواديون وتهللوا لما اعتبروه مغادرة الإغريق لمحيط مدينتهم ففتحووا بوابات المدينة وخرجوا منها مبتهجين. وقد أثار الحصان الخشبي فضولهم وأراد بعضهم سحبه إلى داخل أسوار المدينة، في حين كان آخرون متخوفين منه.

أما لاكون كاهن معبد نبتيون فقد نصح الطرواديين كي يأخذوا حذرهم ويحترسوا من الإغريق الحاملين هدايا .

رمى الكاهن خاصرة الفرس الكبير بحرية فانطلق منها صوت عميق شبيه بالآتين. كان الناس على وشك تدمير

الحصان عندما جاء بأحد السجناء الإغريق إلى وجهاء المدينة وكان يرتجف خوفاً. فقال لهم أنه إغريقي واسمه سينون تركه محاصرو المدينة خلفهم بأمر من أوليس. وقال لهم أيضاً أن الحصان الخشبي صنع بتلك الضخامة للحيلولة دون أخذه إلى المدينة من قبل الطرواديين. وما أن سمعوا ذلك حتى تضاعفت رغبتهم في إدخاله إلى المدينة.

وفجأة ظهرت حيتان جبارتان من البحر فهرب الناس المتجمهرون. الحيتان أمسكتا بكل من لآكون وابنه وقتلتها خنقا، فأعتبر الطرواديون أن تلك كانت علامة لاستيلاء مينيرفا والآلهة من تحذير لآكون للطرواديين من الحصان الخشبي. عندئذ نقلوه إلى داخل المدينة بطقوس رائعة وفرح كبير.

عند حلول الظلام قام سينون بمساعدة الإغريق المسلحين على الخروج من جسم الحصان ففتحوا بوابات المدينة ليسمحوا لإخوانهم الإغريق – الذين عادوا في الظلام – بالدخول إليها.

عندئذ أحرقت المدينة وأعمل الإغريق السيوف في الطرواديين وكانت تلك نهاية حروب طروادة.

قد لا يكون حصان طروادة صنع أو استعمل على الإطلاق. ولا توجد براهين تؤكد وجود ذلك الحصان باستثناء إشارات أدبية تم تدوينها بعد الحادثة بفترة طويلة.

كانت مدينة طروادة القديمة تقع بالقرب من مضيق الدردنيل، وفي الخمسينيات من القرن الماضي تم بناء متحف يضم ضمن مقتنياته آثاراً للمدينة مع حصان خشبي في حديقة المتحف يمثل حصان طروادة الأسطوري.

ومن هذه الأسطورة استنبط المصطلح (حصان طروادة) للدلالة على ما هو ظاهره نافع مفيد وباطنه ضرر أكيد.



## العالم الفيلسوف الذي كانت إحدى الملكات تلميذته

التفكير العميق كان الهواية المفضلة لفيلسوفنا الفرنسي رينيه ديكارت. لقد كانت بنيته الجسدية نحيلة ونشاطه العقلي استثنائيا، وقد منحه مدرسه امتيازات لم يحصل عليها غيره من التلامذة تقديراً لما كان يتمتع به من ذكاء غير عادي وقدرة عجيبة على التفكير المنطقي والتحليل.

هذا الشاب المفكر لم يعتبر شيئاً من المسلمات التي لا تقبل النقاش. إذ كان يقوم بإخضاع كل ما يقع ضمن دائرة تجربته إلى التحليل الفكري الدقيق في محاولة جادة لفهم طبيعة ذلك الشيء بكل ما أوتي من ملكات عقلية وقدرات استنتاجية.

وُلد ديكارت في العام ١٥٩٦ حيث لم يكن الناس يعرفون آنذاك الشيء الكثير عن العلوم والرياضيات. لقد كان مهووساً بالرياضيات وعلم الحساب، وقد ساهم مساهمة فعالة في بعض الأفكار والأساليب العصرية سواء في علم الحساب أو الجبر أو الهندسة. (مع أن علماء الغرب أخذوا الجبر أصلاً عن الرياضي المسلم محمد بن موسى الخوارزمي. وكلمة الجبر مأخوذة من رسالة وضعها الخوارزمي بعنوان: حساب الجبر والمقابلة.)

عندما ذهب ديكارت في مطلع شبابه إلى باريس اعتراه الملل من بهرج المدينة فاعتكف لسنتين كاملتين يدرس هذه العلوم. بعد ذلك اكتشف رفاقه مخبأه فأفسدوا عليه خلوته ولذلك قرر مغادرة المدينة وعمل جندياً في الجيش وحارب في معارك مختلفة لعدة سنين.

في هولندا تمكن من حل مسألة حسابية وضعها أحد الرياضيين (علماء الرياضيات) في الساحة العامة كتحدي لكل من يمر بتلك الساحة، وبذلك اكتسب صداقة الرياضي. وفي بغاريا (ألمانيا) اكتشف ذات يوم أنه سيكون فيلسوفاً ولن يبقى جندياً بعد ذلك.

أمضى ديكارت بعض الوقت في التنقل والأسفار وظل مع ذلك يتأمل في عقله كل ما يعرض له أو تقع عليه عينه من أشياء: قوانين الأرقام وقوانين الفكر وطبيعة الله والإنسان. بعد ذلك توجه ثانية إلى باريس، لكن رفاقه لم يتركوه وشأنه بل حتى أنهم كانوا يفاجئونه في الصباح عندما كان لا يزال في سريره غارقاً في لجاج التفكير أو منهمكاً في تدوين الملاحظات.

حاول العودة إلى عمله الأول كجندي ولكن لم يتسن له ذلك فلجأ إلى هولندا حيث عاش وعمل لعشرين سنة منتقلاً من مكان إلى آخر لا يعرف مكان إقامته سوى قلة قليلة ممن يثق بهم من أصدقاء أوفياء. وهكذا استطاع أن يتعمق في التفكير وينجز الكثير.

من الرياضيات تحول ديكارت إلى العلوم فدرس الفيزياء وعلم وظائف الأعضاء وقام باستحداث نظام كامل متكامل من علم الفلك. لكن شهرته قامت على كونه أحد أبرع علماء الرياضيات في التاريخ، بل وقد أصبح معلماً لعدد غير قليل من الفلاسفة.

كان ديكارت يعتقد أن الفلسفة التي اعتبرها الإعتقاد بالطبيعة والإنسان والله يجب أن لا تقوم على أساس الإيمان بل على أساس الفكر، معتبراً التفكير هو أنسب السبل لمعرفة الحقيقة تماماً كما أن الخط المستقيم هو أقصر مسافة بين نقطتين.

كان يسأل نفسه: "كيف أعرف أن لدي يدين وقدمين؟ وكيف أعرف أن الطاولة موجودة؟" ويجيب نفسه بالقول: "لا أعرف أياً من هذه الأشياء لكنني أعرف بأنني أفكر بها. وأما أشهر أقواله فهو "أنا أفكر ولذلك أنا موجود" الذي شاع لدرجة أنه أصبح مثلاً. وهذا القول بالذات كان نقطة الأساس والمرتكز المحوري لفلسفته.

لقد ظن ديكارت أنه من ذلك المنطلق يمكنه البرهنة على وجود الله وحل أكثر المسائل استعصاءً.

اشتهرت فلسفة ديكارت أثناء حياته وبعد موته بسنين مع أنها تبدو الآن كلاسيكية الطابع وعليها غبار من سنين. لقد اعترضت الكنيسة على الكثير من نظرياته مع أنه بقي كاثوليكياً ملتزماً. لكنه كان يلزم الحذر وقد جنّب نفسه مشاكل كثيرة.

من بين تلاميذه كانت كريستينا ملكة السويد، وكانت قد أقنعتة كي يترك هولندا ويأتي إلى بلاطها فلبى طلبها لكنه مرض بعد ذلك بفترة قصيرة وتوفي في عام ١٦٥٠.

يعتبر ديكارت أبا الفلسفة العصرية لأن تأثيره كان كبيراً على المفكرين الذين أتوا من بعده وتأثروا بفلسفته.